اليمين الأمريكي بين القلق الوجـــــــــــــــودي

وإعـــــادة تشكـــــيل النظـــام العالمـــي

د. عبد الله النعمة

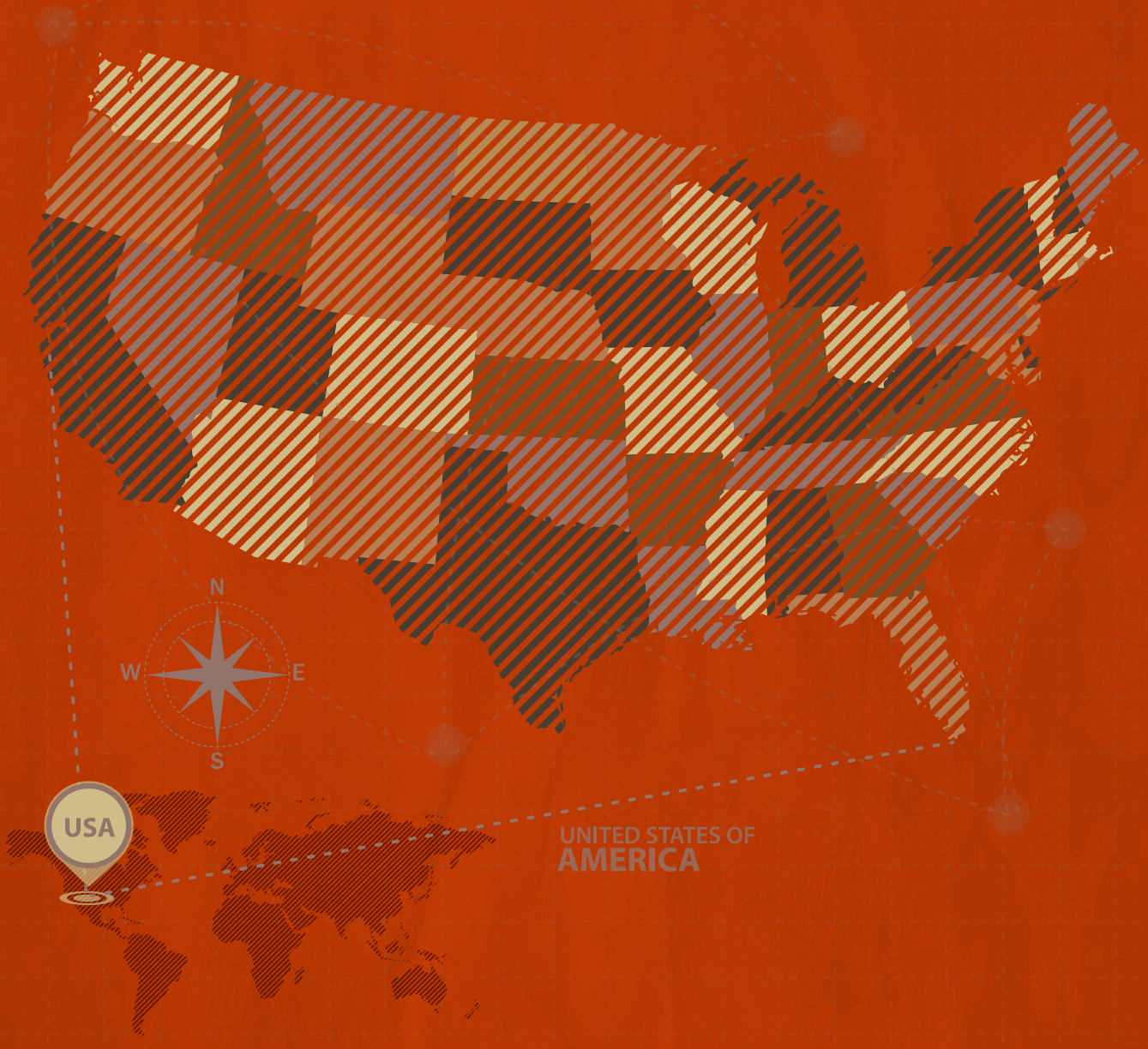

محفوظة جميع الحقوق

اليمين الأمريكي بين القلق الوجودي

وإعـــــادة تشكـــــيل النظـــام العالمـــي

تأليـــف

د. عبد الله النعمة

2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	11
الجزء الأول: الإطار النظري - مفاتيح فهم العاصفة	15
• **الفصل الأول: نظرية التوازن الثقافي**	16
• **الفصل الثاني: أدوات التحليل**	19
○ المبحث الأول: الطبيعة الفركتالية لعدم التوازن	19
○ المبحث الثاني: مأساة الفكرة	19
○ المبحث الثالث: غرامشي وحرب المواقع الثقافية	21
○ المبحث الرابع: جيدنز والقلق الوجودي الحديث	22
○ المبحث الخامس: فيبر والسلطة الكاريزمية	22
الجزء الثاني: تشريح الأمواج - دراسة مقارنة للكتلتين	25
• **الفصل الثالث: جذور الموجتين**	26
○ المبحث الأول: جذور "اليمين الديني المؤسسي" - من الانعزال إلى حرب المواقع	26
○ المبحث الثاني: جذور "التيار الشعبوي القاعدي" - من حزام الصدأ إلى القلق الوجودي.	28
• **الفصل الرابع: طبوغرافيا مقارنة**	30
○ المبحث الأول: طبوغرافيا " اليمين الديني المؤسسي - الإيمان المنظم والمؤسسات	30
○ المبحث الثاني: طبوغرافيا " التيار الشعبوي القاعدي " - التهميش الجغرافي والاقتصادي	31
• **الفصل الخامس: آلات الحرب - مقارنة النظم البيئية**	34
○ المبحث الأول: آلة " اليمين الديني المؤسسي " - قوة المؤسسة الهرمية	34
○ المبحث الثاني: آلة " التيار الشعبوي القاعدي " - قوة الشبكة اللامركزية	35
الجزء الثالث: ترسانة السرديات ونقطة الالتقاء	37
• **الفصل السادس: سرديات "كهنة اليمين"**	38
○ المبحث الأول: سردية "الصهيونية المسيحية" - السياسة كتحقيق للنبوءة	38
○ المبحث الثاني: سردية "الحرب الروحية" - السياسة كمعركة كونية	39

الموضوع	الصفحة
• **الفصل السابع: سرديات "قبائل الغضب الشعبوي"**	40
○ المبحث الأول: سردية "السيادة المهددة" - معركة الهوية والحدود	40
○ المبحث الثاني: سردية "خيانة العامل الأمريكي" - معركة الاقتصاد والعولمة	40
○ المبحث الثالث: سردية "الحس السليم" ضد "الأيديولوجيا الراديكالية" - الحرب الثقافية	41
○ المبحث الرابع: أسلحة الخطاب - آليات شيطنة الخصم	41
• **الفصل الثامن: السردية الجامعة - "القومية المسيحية"**	42
○ المبحث الأول: تعريف السردية وأسسها	42
○ المبحث الثاني: آلية العمل - بناء هوية موحدة وعدو مشترك	43
○ المبحث الثالث: اللغة العاطفية ونقطة الاندماج	44
الجزء الرابع: العالم في مواجهة الأمواج	45
• **الفصل التاسع: العاصفة الكاملة والمُسرّع الرقمي**	46
○ المبحث الأول: العاصفة الكاملة - تحليل عوامل التمكين	46
○ المبحث الثاني: المُسرّع الرقمي - دور التكنولوجيا في هندسة الحركة	47
• **الفصل العاشر: النمط العالمي - أمريكا كمرآة للعالم والعالم كمرآة لأمريكا**	49
○ المبحث الأول: نمط "رد الفعل على الحداثة" - مقارنة مع الإسلام السياسي	49
○ المبحث الثاني: وصفة النجاح العالمية للقومية الشعبوية-الدينية	49
○ المبحث الثالث: عوامل الإعاقة والنموذج المضاد	50
• **الفصل الحادي عشر: الأثر الجيوسياسي وتداعياته**	52
○ المبحث الأول: تآكل الدولة القومية من الداخل	52
○ المبحث الثاني: تحويل السياسة الخارجية إلى "حرب حضارية"	52
○ المبحث الثالث: تقويض النظام العالمي القائم على القواعد	53
الجزء الخامس: الخاتمة التحليلية - "زبدة الكتاب"	55
• **الفصل الثاني عشر: المعضلة الديمقراطية**	56
○ المبحث الأول: معضلة الشرعية الديمقراطية	56
○ المبحث الثاني: معضلة السيادة والتدخل	57
○ المبحث الثالث: معضلة رد الفعل العالمي	57
• **الفصل الثالث عشر: الخاتمة - مأساة الفكرة ومستقبل التوازن المنشطر**	58
○ المبحث الأول: الخلاصة السببية - عودة إلى مأساة الفكرة	58
○ المبحث الثاني: مستقبل التوازن - من الاصطدام إلى الانشطار	59
○ المبحث الثالث: خاتمة نهائية في ضوء نظرياتنا	60

ملخـــص تنفـيـذي:

ملخص تنفيذي:

ملخص تنفيذي:

اليمين الأمريكي في عصر القلق الوجودي

المقدمة والسياق يبحث هذا الكتاب في حالة الاستقطاب العميقة التي تعيشها الولايات المتحدة، والتي يصفها المؤلف بأنها "عين العاصفة". يجادل الكتاب بأن هذا الصراع يتجاوز الخلافات السياسية التقليدية ليصل إلى جوهر الهوية والقيم والمعنى.

الأطروحة المركزية: إطار التوازن الثقافي الإطار التحليلي الحاكم للكتاب هو "**إطار التوازن الثقافي**" ، وهو إطار تركيبي يبني على نظريات كلاسيكية. ينطلق هذا الإطار من أن المجتمعات، كأي نظام حيوي، تسعى غريزيًا نحو التوازن. وعندما تتعرض لـ "طوفان" (تغير هائل وسريع) يكسر قيمها ومؤسساتها، ينشأ "عدم توازن" وجودي. هذا الخلل يؤدي حتمًا إلى ولادة "موجة عاتية" مضادة، لا تسعى بالضرورة لاستعادة الماضي، بل لتأسيس "توازن جديد" ومختلف.

تشريح الموجة العاتية: تياران متميزان يرى الكتاب أن اليمين الأمريكي المعاصر هو هذه "الموجة العاتية"، وهو يتكون من تيارين متداخلين:

1. "**اليمين الديني المؤسسي**": تيار منظم، جذوره هي "صدمات ثقافية" وقضائية (مثل تشريع الإجهاض وعلمنة المدارس). قوته تكمن في **منظومة تأثير** مؤسسية هرمية (قانونية، لاهوتية، وإنسانية).
2. "**التيار الشعبوي القاعدي**": تيار لامركزي، جذوره هي "تدهور اقتصادي" (العولمة، تآكل "حزام الصدأ") و"قلق وجودي" ديموغرافي وثقافي. قوته تكمن في شبكة إعلامية وسياسية ديناميكية.

منهجيـة التحليـل: أدوات التحليـل لتحليـل هذيـن التياريـن، يسـتخدم المؤلـف "أدوات تحليليـة" متكاملـة تشـمل:

- **الطبيعة الفركتالية لعدم التوازن:** كيف ينتقل الخلل بين أنظمة المجتمع (من الثقافي إلى الاقتصادي ثم السياسي).
- **مأساة الفكرة والاختيار:** تجاوز سردية "الأخيار والأشرار" لفهم الأزمة كنتيجة منطقية لفكرة "الرأسمالية المطلقة" ، مدمجة بـ "الاختيارات البشرية" التي اتخذها الفاعلون ضمن هذا المنطق.
- **غرامشي (الهيمنة الثقافية):** تحليل "حرب المواقع" التي يخوضها التياران لبناء هيمنة ثقافية مضادة.
- **جيدنز (القلق الوجودي):** فهم الحالة النفسية للأتباع الباحثين عن اليقين في عصر الحداثة المتأخرة.
- **فيبر (السلطة الكاريزمية):** شرح دور القائد الشعبوي الذي يظهر في أوقات الأزمات لتوحيد الجماهير.

منظومة السرديات ونقطة الالتقاء يخصص الكتاب جزءاً لتحليل "السرديات" التي تشكل وقود الحركتين. فسرديات "**اليمين الديني المؤسسي**" لاهوتية (مثل "الصهيونية المسيحية" و"الحرب الروحية") ، بينما سرديات "**التيار الشعبوي القاعدي**" مادية وهوورياتية (مثل "خيانة العامل الأمريكي" و"السيادة المهددة")

نقطة الالتقاء والاندماج هي "السردية الجامعة: القومية المسيحية". هذه السردية لا تمثل "هيمنة" بسيطة من الأعلى، بل هي أقرب إلى "**إنتاج مشترك**" أو "**صفقة انتهازية**"؛ "التيار القاعدي" يوفر الطاقة الخام والغضب، و"اليمين المؤسسي" يوفر الغطاء اللاهوتي والمعنى. تنجح السردية في ربط التيارين عبر إعادة صياغة المظالم المادية كأعراض لـ "الانحلال الروحي"، مما يوحد طاقتهما ضد عدو مشترك: "النخبة العلمانية العالمية".

التداعيات العالمية والخاتمة يضع الكتاب الظاهرة في سياق عالمي، معتبراً إياها نمطاً متكرراً (مقارناً إياها بالقومية في الهند والمجر، وحتى بالإسلام السياسي كرد فعل على الحداثة). ويحلل كيف أن هذه "الموجة العاتية" تؤدي إلى تقويض

النظـام العالمـي عـبر:

1. تآكل الدولة القومية من الداخل.
2. تحويل السياسة الخارجية إلى "حرب حضارية".
3. تقويض النظام العالمي القائم على القواعد.

تختتم الدراسة بمعالجة "المعضلة الديمقراطية" (كيفية التعامل مع حركة تستخدم أدوات الديمقراطية لهدم قيمها) ، والعودة إلى "**مأساة الفكرة والاختيار**" كسبب جذري.

أخيراً، يستشرف الكتاب المستقبل، متوقعاً ليس عودة للتوازن القديم ولا حرباً أهلية، بل حالة من "**انشطار التوازن**"؛ وهي حالة لا تتعلق بالانقسام الجغرافي (الفرز الكبير) فحسب، بل **بانشطار "السيادة"**، حيث تنفصل "السلطة الفعلية" في المعاقل شبه المستقلة عن "السلطة الرمزية" للدولة.

مقدمة

مقدمة

إن المشهد السياسي والاجتماعي في الولايات المتحدة، بل وفي العالم بأسره، يقف اليوم "في عين العاصفة". إنها حالة من الاستقطاب الحاد والصراع العميق الذي تتجاوز أسبابه مجرد الخلافات السياسية التقليدية لتصل إلى جوهر الهوية والقيم والمعنى. لفهم هذه العاصفة، لا بد من فهم القوى التي تحركها. ومن بين أشد هذه القوى تأثيرًا وصلابة، **تبرز حركتان متداخلتان تشكلان معًا اليمين الأمريكي المعاصر: "كهنة اليمين" الديني، و"قبائل الغضب الشعبوية.**

يهدف هذا الكتاب إلى تشريح هاتين الموجتين، لا لإصدار الأحكام، بل للفهم. إنه محاولة لرسم خريطة لهذا المحيط الهائج، وتقديم بوصلة تحليلية تساعدنا على الإبحار في خضمه.

البوصلة التحليلية: منهجية الكتاب ومحتواه

ينطلق هذا العمل من **"إطار توازني تركيبي (Synthetic Equilibrium Frame-work)"**. هذا العمل لا يدّعي اختراع نظرية جديدة، بل يعتمد بتواضع فكري على دمج رؤى عمالقة الفكر الاجتماعي - مثل كارل بولاني[1] في "حركته المزدوجة" وفيبر[2] في "منطقه الحتمي" - ويضعها في سياق جديد قوامه القلق الوجودي والصراع الثقافي في القرن الحادي والعشرين.

(1) **كارل بولاني (Karl Polanyi):** مفكر ومؤرخ اقتصادي (1886-1964). اشتهر بكتابه "التحول العظيم". أطروحته المركزية هي **"الحركة المزدوجة"**: يرى أن تمدد منطق السوق (الذي يصفه الكتاب بـ "الطوفان") ليطغى على المجتمع، يولد حتمًا حركة مجتمعية مضادة (التي يصفها الكتاب بـ "الموجة العاتية") تطالب بالحماية الاجتماعية لاستعادة التوازن

(2) **ماكس فيبر (Max Weber):** (1864-1920) عالم اجتماع ألماني مؤسس. يشتهر بتحليله لـ "أنواع السلطة" (التقليدية، القانونية، والكاريزمية). يركز الكتاب على مفهومه **"للسلطة الكاريزمية"** ، حيث يتبع الناس قائداً لصفاته "الاستثنائية" في أوقات الأزمات ، وليس بسبب القانون أو التقاليد.

إن استقرار المجتمعات يكمن في حالة من التوازن الديناميكي، والاضطرابات تنشأ حين يولد "طوفان" التغيير السريع حالة من "عدم التوازن"، مما يؤدي إلى نشوء "موجة عاتية" مضادة.

ولدعم **هذا الإطار التحليلي**، نستخدم "أدوات تحليلية" متكاملة تشمل عدسات مختلفة لفهم الظاهرة من كافة أبعادها..."

- **الطبيعة الفركتالية**[1] **لعدم التوازن:** لفهم كيف ينتقل الخلل بين أنظمة المجتمع.
- **مأساة الفكرة:** لتجاوز السرديات الأخلاقية السطحية وفهم التعقيد.
- **الهيمنة الثقافية (غرامشي)** [2]: لتحليل استراتيجيات الصراع الثقافي.
- **القلق الوجودي (جيدنز)** [3]: لفهم الحالة النفسية للأتباع.
- **السلطة الكاريزمية (فيبر):** لشرح طبيعة ودور القائد الشعبوي.

يسير الكتاب وفق هيكل منطقي، حيث ينتقل من تأسيس هذا الإطار النظري (الجزء الأول)، إلى تشريح الموجتين من حيث جذورهما وطبوغرافيتهما[4] وآلات حربهما (الجزء الثاني)، ثم يغوص في ترسانة السرديات التي تشكل وقودهما الأيديولوجي (الجزء الثالث)، قبل أن يضع الظاهرة في سياقها العالمي ويحلل أثرها الجيوسياسي (الجزء الرابع)، ليختتم بمعالجة المعضلات الفلسفية وتقديم رؤية استشرافية للمستقبل (الجزء الخامس).

---

(1) **الطبيعة الفركتالية (لعدم التوازن):** المفهوم مستعار من الرياضيات، حيث "الفركتل(Fractal) ") هو نمط هندسي يكرر نفسه في مقاييس مختلفة (التشابه الذاتي). في سياق الكتاب، يعني هذا أن نمط "عدم التوازن" (مثل الطوفان ورد الفعل) يتكرر: فالخلل الذي يحدث على مستوى المجتمع ككل (الماكرو)، يتكرر بنمط مشابه داخل الأنظمة الفرعية (الميكرو) كالاقتصاد أو السياسة.

(2) **الهيمنة الثقافية (غرامشي):** مفهوم للمفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي. يعني أن السيطرة الحقيقية لا تتحقق بالقوة فقط، بل عبر السيطرة على ثقافة المجتمع ومؤسساته. الهدف هو جعل قيم الطبقة الحاكمة تبدو وكأنها "الحس السليم" الطبيعي للجميع ، وهي استراتيجية تُستخدم في "حرب المواقع"

(3) **القلق الوجودي (جيدنز):** مفهوم لعالم الاجتماع أنتوني جيدنز. يصف حالة "الحداثة المتأخرة" حيث تتآكل التقاليد ومصادر اليقين. هذا يولد "قلقًا وجوديًا" لدى الأفراد، وهو شعور بفقدان الأمان والهوية ("الأرض تهتز تحت الأقدام") ، مما يدفعهم للبحث عن سرديات قوية وقادة أشداء.

(4) طوبوغرافيا: أصلها يوناني (" topos"مكان" graphia + "كتابة")، ويعني حرفيًا "وصف المكان".. وهو العلم الذي يختص بوصف ورسم الخصائص الفيزيائية لسطح الأرض. ويشمل هذا وصف التضاريس. والمعنى المجازي يستخدم لوصف "بنية" أو "خريطة" حركة اجتماعية أو فكرية. فبدلاً من وصف الجبال، يقوم الكتاب برسم "طوبوغرافية اليمين"، أي تحديد بنيته الداخلية، ومراكز قوته (القيادات والمؤسسات)، وخصائصه الديموغرافية (أين يتركز أتباعه).

لمن هذا الكتاب، وما فائدته؟

هذا الكتاب موجه إلى كل من يسعى لفهم أعمق للعالم الذي نعيش فيه:

- للمحلل السياسي والاستراتيجي الذي يريد تجاوز الأخبار اليومية إلى فهم الأنماط العميقة.
- لطالب العلوم السياسية والاجتماع الذي يبحث عن إطار نظري متكامل لتطبيق دراساته.
- للصحفي الذي يسعى لتقديم تغطية أكثر عمقًا للظواهر السياسية.
- ولكل مواطن فضولي يشعر بحجم العاصفة ويريد أن يفهم القوى التي تحركها.

فائدة الكتاب لا تكمن في تقديم إجابات نهائية، بل في منح القارئ "**صندوق أدوات فكري**" يمكنه من خلاله تحليل الظواهر الشعبوية والقومية، ليس فقط في أمريكا، بل في أي مكان في العالم.

لماذا هو مختصر، ومدى موثوقيته؟

تم تصميم هذا الكتاب ليكون **خلاصة مركزة ومكثفة**. الهدف ليس تقديم موسوعة شاملة، بل استخلاص نموذج تحليلي واضح وقوي يمكن استيعابه وتطبيقه بسهولة. ولأجل ذلك، تم التركيز على الهيكل والأفكار الرئيسية، مع تزويد نهاية كل فصل بقائمة "مقترحات للقراءة والاستزادة" لمن يرغب في الغوص أعمق في تفاصيل كل موضوع.

أما عن **موثوقيته**، فهي لا تنبع من ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، بل من **صرامته المنهجية**. موثوقية هذا العمل تكمن في تماسكه الداخلي، وتطبيقه المستمر للإطار النظري الذي يعلن عنه بصراحة، وربطه بين الأحداث الواقعية والنظريات الأكاديمية الراسخة.

وفي الختام، سيبقى هذا الكتاب، شأنه شأن غيره،

محاولة لاستقراء المستقبل، مستقيًا فهمه من دراسة الأنماط التي تحدث في العالم. إنه ليس نبوءة، بل هو خريطة تحليلية لمحيط هائج، على أمل أن تساعدنا على فهم وجهتنا المقبلة.

01

الجزء الأول:
الإطـــار النظـــــري
مفاتيح فهم العاصفة

1

الجزء الأول:

الإطار النظري - مفاتيح فهم العاصفة

1 الفصل الأول: بناء إطار التوازن الثقافي

قبل الخوض في تفاصيل الحركات والسرديات، لا بد من توضيح الإطار التحليلي الذي سيحكم تحليلنا بأكمله. كما ذكرنا في المقدمة، هذا العمل يطبق "إطارًا تركيبيًا" يرى أن استقرار الحضارات والمجتمعات يكمن في قدرتها على تحقيق توازن ديناميكي بين مكوناتها، وأن الاضطرابات الكبرى تنشأ حين يختل هذا التوازن. القانون الأساسي: التوازن

القانون الأساسي: التوازن

ينطلق إطارنا من أن "قانون الكون الأزلي هو التوازن". والمجتمعات البشرية، كأي نظام حيوي، تسعى غريزيًا نحو حالة من التوازن بين قيمها ومؤسساتها وتوقعات أفرادها. إن هذا المفهوم ليس جديداً، وهو يبني مباشرة على مفهوم "التوازن الاجتماعي " (Social Equilibrium) [1] في علم الاجتماع الكلاسيكي. لكن، وكما فعل منظرون لاحقون، فإننا نؤكد هنا على طبيعته الديناميكية والجدلية، حيث إن ردود الفعل على الخلل لا تهدف بالضرورة إلى استعادة الماضي، بل إلى تشكيل مستقبل جديد، كما سنوضح. هذا التوازن ليس حالة ثابتة جامدة، بل هو حالة من التدافع المستمر الذي يحافظ على استقرار النظام ككل ضمن نطاق يمكن احتماله.

(1) **مفهوم "التوازن الاجتماعي" (Social Equilibrium):** هو مفهوم مركزي في علم الاجتماع (خاصة المدرسة الوظيفية). يرى المجتمع كنظام حيوي مكون من أجزاء مترابطة (كالمؤسسات والقيم) تعمل معاً للحفاظ على الاستقرار والنظام. وعندما يحدث خلل أو "طوفان"، فإن قوى المجتمع تعمل بشكل طبيعي لاستعادة هذا التوازن وضمان استمراره.

الحـدث المُخِل: الطوفان

يحدث "عدم التوازن" عندما يتعرض المجتمع لتغير هائل وسريع، يفوق قدرة مؤسساته وقيمه على التكيف والاستيعاب، أشبه بـ "طوفان" ثقافي أو اقتصادي. قد يكون هذا الطوفان ثورة تكنولوجية كـ الثورة الصناعية التي قلبت بنية المجتمعات الأوروبية، أو تحولاً قيميًا جذريًا كـ الإصلاح البروتستانتي، أو صدمة اقتصادية عنيفة. إنه حدث يكسر العقد الاجتماعي القائم ويجعل قطاعات واسعة من المجتمع تشعر بأن الأرض تهتز تحت أقدامها وأن عالمها الذي تعرفه ينهار.

جدول (1-1): مقارنة بين طبيعة التغير الاجتماعي

المؤشر	التغير التدريجي (Evolutionary Change)	الطوفان المُخل (Disruptive Flood)
السرعة	بطيء، على مدى أجيال	خاطف، مفاجئ
النطاق	محدود، يصيب قطاعًا واحدًا	شامل، يصيب عدة قطاعات (قيم، اقتصاد، سياسة)
الأثر المؤسسي	يسمح للمؤسسات بالتكيف والتطور	يكسر شرعية المؤسسات القائمة
الأثر النفسي	يمكن استيعابه ضمن السرديات القائمة	يولد شعورًا بالصدمة وفقدان السيطرة

النتيجـة: عـدم التـوازن

يولد "الطوفان" حالة عميقة من "عدم التوازن". وهي حالة من التفكك المعياري تشبه إلى حد بعيد ما أسماه عالم الاجتماع المؤسس إميل دوركهايم [1] بـ "الأنومي" (Anomie). هذه الحالة ليست مجرد اختلاف في وجهات النظر، بل هي شعور وجودي بالقلق وفقدان المكانة والتهديد. يشعر جزء من المجتمع بأن قيمه وهويته ونمط حياته لم تعد محترمة أو ممكنة، وأن النظام الجديد يعمل ضده بشكل مباشر.

(1) **إميل دوركهايم (Émile Durkheim)**: (1858-1917) عالم اجتماع فرنسي وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. ركز على "التضامن الاجتماعي" (كيف يبقى المجتمع متماسكاً). يُستخدم في الكتاب مفهومه الرئيسي **"الأنومي" (Anomie)**، وهي حالة التفكك المعياري أو فقدان التوجيه التي تحدث عندما تنهار القيم المجتمعية فجأة

رد الفعل: الموجة العاتية

كرد فعل طبيعي وحتمي على "عدم التوازن"، تنشأ من رحم المجتمع "موجة عاتية" مضادة. لكن من الأهمية بمكان فهم طبيعة هذه الموجة بدقة لمعالجة أي نقد محتمل قد يرى في هذا النموذج نوعًا من الحتمية إن "الموجة العاتية" ليست مجرد آلية استتبابية (homeostatic) تسعى لاستعادة حالة توازن سابقة. بل هي قوة فاعلة، خلاقة، وغالبًا ما تكون مدمرة، تسعى لتأسيس توازن جديد ومختلف جوهريًا إن ما نصفه هنا ليس عودة النظام إلى حالته الطبيعية؛ فالخلل الذي أحدثه "الطوفان" عميق لدرجة أن رد الفعل لا يمكن أن يكون مجرد ترميم بدلًا من ذلك، فإن "الموجة العاتية" هي محاولة لتأسيس نظام معياري جديد بالكامل، وهو ما يفسر الطبيعة الوجودية للصراع. هذا التوضيح يحصّن الإطار من النقد الكلاسيكي الموجه للنماذج الوظيفية، والذي غالبًا ما يجد صعوبة في تفسير التغيير الاجتماعي ويميل نحو الحتمية. إنها حركة هوية ذات طابع وجودي تسعى لإعادة تعريف قواعد اللعبة الاجتماعية نفسها، وليس فقط الفوز ضمنها.

وهنا، نعتمد بشكل محوري على رؤية المفكر الاقتصادي كارل بولاني، الذي قدم إطارًا تاريخيًا قويًا لفهم هذه الديناميكية من خلال مفهومه عن "الحركة المزدوجة". يرى بولاني أن تمدد منطق السوق ليطغى على كافة جوانب الحياة (وهو شكل من أشكال "الطوفان") يولد حتمًا حركة مجتمعية مضادة لحماية نسيجها الاجتماعي من التفكك. إن ما نسميه "الطوفان" و "الموجة العاتية" هو، في جوهره، تطبيق لهذا النموذج البولاني في سياق الصراع الثقافي والوجودي المعاصر تمامًا كما كان صعود الاشتراكية وحركات الحماية الاجتماعية موجة مضادة للرأسمالية الصناعية الجامحة في القرن التاسع عشر، فإن الموجة التي نشهدها اليوم هي رد فعل حمائي مماثل في جوهره، وإن اختلف في شكله وأدواته. وغالبًا ما يكون وقودها النفسي هو الشعور بـ "الحرمان النسبي" (Relative Deprivation)، حيث ترى شريحة واسعة من المجتمع أن مكانتها وقيمها تتآكل مقارنة بالآخرين أو بالماضي هذا الشعور المشترك بالتهديد هو ما يولد "عصبية" جديدة، على حد تعبير ابن خلدون، توحد المجموعة في مواجهة **الخطر المتصور ويمكن تمثيل العلاقة بين عمق الخلل وقوة الموجة في الجدول التالي:**

إن حركتي "**اليمين الديني المؤسسي**" و"**التيار الشعبوي القاعدي**" ليستا إلا تجليات مختلفة لهذه "الموجة العاتية" التي ولدت من رحم طوفانات متعددة ضربت الغرب في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو ما سنفصله في الأجزاء القادمة.

2 الفصل الثاني: أدوات التحليل

مقدمة الفصل

بالإضافة إلى إطار "التوازن الثقافي" كإطار عام، يستخدم هذا الكتاب مجموعة من الأدوات التحليلية المتكاملة لفهم الديناميكيات الخفية للصراع. تساعدنا هذه الأدوات على تجاوز السرديات السطحية والانتقال إلى مستوى أعمق من فهم كيفية نشوء "عدم التوازن" وانتقاله، وكيفية تطور الأفكار بشكل مأساوي، وما هي الاستراتيجيات المتبعة في الصراع على السلطة والهوية.

1 المبحث الأول: الطبيعة الفركتالية لعدم التوازن

تنطلق هذه الأداة من فكرة بسيطة: "داخل أي نظام، توجد أنظمة أصغر". فالمجتمع ككل هو نظام كبير، لكن داخله توجد أنظمة فرعية (اقتصادية، ثقافية، سياسية) تتفاعل مع بعضها. "عدم التوازن" ليس حدثًا ثابتًا يصيب النظام ككل دفعة واحدة، بل هو طاقة ديناميكية يمكن أن تنتقل وتُزاح من نظام فرعي إلى آخر. والمثال الذي سنعود إليه مرارًا في هذا الكتاب هو ما حدث في السبعينات. لقد بدأ "عدم التوازن" في النظام الثقافي (صعود الثقافة المضادة)، مما خلق ضغطًا على النظام الاقتصادي (النخبة الرأسمالية). ردًا على ذلك، قام النظام الاقتصادي بمحاولة استعادة توازنه الخاص عبر "موجة مضادة" (العولمة)، لكن هذا الفعل لم يحل الخلل، بل قام بنقل "عدم التوازن" إلى الطبقة العاملة، والذي ظل يختمر لعقود لينفجر أخيرًا في النظام السياسي (صعود الشعبوية).

2 المبحث الثاني: مأساة الفكرة (ومأساة الاختيار)

الأداة الثانية في أدواتنا التحليلية هي مفهوم "**مأساة الفكرة**"، والذي ندمجه هنا مع "**مأساة الاختيار**". وهو إطار يساعدنا على تجاوز فخ الحكاية الأخلاقية البسيطة التي تصور الصراع كمعركة بين "أبرياء" و"أشرار". الحقيقة أكثر تعقيدًا؛ فالأزمة ليست بالضرورة نتاج مؤامرة أشرار، بقدر ما هي نتيجة المنطق الحتمي لفكرة قوية تُركت لتتبع مسارها، والاختيارات البشرية المحددة التي اتُخذت في سياق هذا المنطق.

نقاش حاسم: الأتمتة أم العولمة؟

قبل تحليل هذه المأساة، من الضروري الإقرار بنقاش أكاديمي محوري حول السبب الرئيسي لتدهور الطبقة العاملة الصناعية. فالتحليل الحالي في هذا الكتاب، لأسباب سنوضحها، يركز على **العولمة**. ومع ذلك، يجادل العديد من الاقتصاديين بأن **الأتمتة والتغيير التكنولوجي** كانا محركًا أكثر أهمية لفقدان الوظائف في الصناعات التحويلية الروتينية من التجارة الدولية.

هذا الكتاب لا ينكر التأثير الهائل للأتمتة، لكنه يجادل بأن **العولمة كانت القوة الأكثر بروزًا من الناحية السياسية والثقافية**. والسبب في ذلك بسيط: لقد قدمت العولمة **سردية سهلة التعبئة** مع عدو خارجي واضح (الصين والمكسيك) و"خونة" داخليين محددين ("النخب العالمية"). في المقابل، كانت الأتمتة قوة أكثر انتشارًا وتعقيدًا وغير شخصية، مما يجعل من الصعب تحويلها إلى هدف للغضب الشعبوي المنظم. لذلك، بينما كانت كلتا القوتين فاعلتين، كانت العولمة هي التي شكلت الوقود المباشر لسردية "الخيانة" التي تقع في قلب "مأساة الفكرة".

الطرف الأول: الطبقة العاملة و"صفقة الرأسمالية الوطنية"

من الخطأ تصوير الطبقات العاملة كضحية سلبية وبريئة بالكامل. في الواقع، لقد كانوا لعقود طويلة شريكًا نشطًا ومستفيدًا مما يمكن تسميته بـ "صفقة الرأسمالية الوطنية". في هذه الصفقة غير المكتوبة التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية، دعمت الطبقة العاملة والنقابات نظامًا رأسماليًا يعمل ضمن حدود الدولة، وفي المقابل، ضمن لهم هذا النظام وظائف مستقرة، وأجورًا جيدة، وشعورًا بالأمان والكرامة. مأساة هذه الطبقة لم تكن البراءة، بل كانت "**قصر النظر**". لقد فشلوا في إدراك أن هذه الأداة القوية التي دعموها واستفادوا منها - أي منطق الرأسمالية الساعي للربح - لم تكن موالية لهم بطبيعتها، بل كانت مقيدة فقط بالظروف الوطنية آنذاك. لم يتخيلوا أن نفس هذا المنطق، إذا ما تم تحريره من قيوده الوطنية، يمكن أن يتحول إلى قوة لا تعترف بالولاء الذي كان أساس الصفقة الأولى.

الطرف الثاني: النخب و"مأساة الاختيار العقلاني"

في المقابل، فإن النخب التي قادت العولمة لم تكن بالضرورة كائنات شريرة بشكل مطلق تسعى لتدمير وطنها. لقد كانوا يتصرفون كأفضل منفذين للمنطق الداخلي

للرأسمالية. فالنظام نفسه يكافئ من يعظم الربح ويخفض التكلفة، بغض النظر عن العواقب الاجتماعية.

وهنا يكمن جوهر "مأساة الاختيار" المضافة إلى "مأساة الفكرة"

لم يكن "منطق الرأسمالية" المجرد هو من أغلق المصانع؛ بل **المديرون التنفيذيون** الذين اتخذوا **قرارات بشرية محددة** (نقل المصانع للصين، الضغط لسن قوانين تجارية معينة) بناءً على حوافز شخصية (مثل مكافآت الأسهم). فعندما أغلق مدير تنفيذي مصنعًا في ميشيغان ونقله إلى الصين، لم يكن بالضرورة يفعل ذلك بدافع الكراهية، بل كان يتبع بصرامة قواعد اللعبة التي تقول إن واجبه الأول هو تعظيم قيمة السهم. لقد كانوا "**عقلانيين**" إلى أقصى درجة ضمن نظام يكافئ هذا النوع من العقلانية المجردة من أي ولاء اجتماعي أو وطني.

الجاني الحقيقي: الفكرة المطلقة والاختيار الأناني

بناء; على ذلك، فإن المشكلة الجذرية ليست فقط في منطق الفكرة الرأسمالية نفسها حينما تُترك دون "حدود"، بل أيضًا في **الاختيارات البشرية** التي اتخذها "الفاعلون" (Agents) ضمن هذا المنطق لتعظيم مصالحهم الخاصة على حساب التوازن الاجتماعي. إنها "مأساة" لأن كل طرف كان يتصرف بشكل منطقي ضمن عالمه الخاص، ولكن تفاعل هذه المنطقيات والاختيارات أدى إلى نتيجة كارثية على النظام ككل.

3 المبحث الثالث: غرامشي وحرب المواقع الثقافية

لفهم استراتيجية الصراع، نستدعي المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي ومفهومه عن "الهيمنة الثقافية". يرى غرامشي أن السيطرة الحقيقية لا تأتي فقط من القوة السياسية ("حرب المناورة")، بل من السيطرة على ثقافة المجتمع ومؤسساته لجعل قيم الطبقة الحاكمة تبدو وكأنها "الحس السليم" للجميع. ما نشهده اليوم هو "حرب مواقع" شرسة، حيث تسعى "الموجة العاتية" لليمين إلى تفكيك الهيمنة الثقافية الليبرالية وبناء هيمنة مضادة. يقوم "**اليمين الديني المؤسسي**" بذلك عبر بناء شبكة من المؤسسات (لاهوتية، قانونية، تعليمية)، بينما يخوض "**التيار الشعبوي القاعدي**" هذه الحرب عبر جهاز فكري وإعلامي ضخم. هذا الجهاز لا

يهدف فقط لتشكيل وعي جديد، بل لإنتاج طبقة من "المثقفين العضويين" الذين يترجمون الغضب إلى أيديولوجيا. وسنرى لاحقًا كيف أن مؤسسات مثل The Heritage Foundation وThe Claremont Institute، من خلال مشاريع طموحة مثل "Project 2025"، تمثل التجسيد العملي لهذه الاستراتيجية الغرامشية، حيث يتم تحويل النظرية إلى خطط جاهزة للاستيلاء على الدولة من الداخل.

4 المبحث الرابع: جيدنز والقلق الوجودي الحديث

للإجابة على سؤال "لماذا أصبح الناس مهيئين نفسيًا لتقبل هذه الموجة؟"، نستعين بعالم الاجتماع أنتوني جيدنز. يصف جيدنز عصر "الحداثة المتأخرة" الذي نعيشه بأنه عصر تتآكل فيه التقاليد ومصادر اليقين، مما يولد "قلقًا وجوديًا" (Ontological Insecurity) لدى الأفراد. إن الشعور بأن "الأرض تهتز تحت الأقدام" الذي نتج عن "طوفان" العولمة والتحولات الثقافية هو تجسيد دقيق لهذا القلق. وتدعم الأبحاث الأكاديمية الحديثة هذا الربط بقوة، حيث تظهر أن هذا "القلق الوجودي" هو بالفعل محرك رئيسي للتصويت لصالح اليمين الشعبوي، حتى بالنسبة للأفراد الذين لم يتضرروا اقتصاديًا بشكل مباشر، مما يعزز أطروحتنا المركزية بأن الظاهرة ليست اقتصادية بحتة بل نفسية في جوهرها. هذا الفراغ واللايقين هو ما يجعل قطاعات واسعة من المجتمع تبحث بيأس عن سرديات قوية ومبسطة، وقادة أشداء، يعيدون لهم الشعور بالأمان والهوية المفقودة.

5 المبحث الخامس: فيبر والسلطة الكاريزمية

أخيرًا، لفهم دور القائد الشعبوي الذي يظهر في قلب هذه العاصفة، نستدعي مفهوم "السلطة الكاريزمية" لماكس فيبر. يرى فيبر أن هذا النوع من السلطة لا يستند إلى القانون أو التقاليد، بل إلى الولاء الشخصي لشخصية القائد التي ينسبها إليه الأتباع لكونها "استثنائية". وهذا النمط ليس مجرد نظرية، بل هو ظاهرة تاريخية متكررة؛ فالقائد الكاريزمي يظهر دائمًا في أوقات الأزمات الكبرى ("عدم التوازن")، حيث تكون المؤسسات القائمة قد فقدت شرعيتها، فيحصل على تفويض مباشر من الجماهير لتحديها. ففي خضم فوضى ما بعد الثورة الفرنسية، ظهر نابليون بونابرت كشخصية استثنائية استمدت سلطتها من عبقريتها العسكرية. وفي ظل الانهيار الاقتصادي والإذلال الوطني في جمهورية فايمار الألمانية، قدم أدولف

هتلر نفسه كمخلّص للأمة. وكذلك في سياق أزمة الشرعية والغضب الشعبي ضد نظام الشاه في إيران، برز آية الله الخميني كقائد روحي مُلهم. كل هؤلاء لم يستمدوا سلطتهم من القانون، بل من ولاء أتباعهم الذين رأوا فيهم منقذين. وتضيف الأبحاث الحديثة طبقة حاسمة من الفهم: الكاريزما ليست مجرد صفة شخصية، بل هي علاقة اجتماعية. فالقائد لا يمتلكها بقدر ما تُمنح له من قبل أتباع مهيئين ثقافيًا لرؤيته كمخلص. على سبيل المثال، نجح دونالد ترامب في تجسيد قوالب ثقافية مختلفة كانت موجودة مسبقًا لدى قاعدته؛ فهو شخصية "الملك قورش" التوراتية بالنسبة للإنجيليين (الزعيم الوثني الذي يختاره الله لإنقاذ شعبه)، وهو في الوقت نفسه شخصية "رائد الأعمال البطل" العلماني بالنسبة للآخرين. هذا التوضيح يساعدنا على فهم كيف يمكن لشخصية واحدة أن توحد "**اليمين الديني المؤسسي**" و"التيار الشعبوي القاعدي". فالقائد يصبح هو النقطة التي تتقاطع فيها سردياتهم المختلفة، حيث يرى كل طرف فيه تجسيدًا للبطل الذي ينتظره، مما يسمح له بتوجيه طاقاتهم وغضبهم نحو هدف سياسي مشترك.

خاتمة الفصل:

بعد أن قمنا بتجهيز "أدوات التحليل"، أصبح لدينا الآن خمس عدسات متكاملة:

1. **إطار التوازن الثقافي:** لفهم الإطار العام للصراع (طوفان ← عدم توازن ← موجة).
2. **الطبيعة الفركتالية:** لرؤية كيف ينتقل الخلل عبر أنظمة المجتمع.
3. **مأساة الفكرة والاختيار:** لتجاوز السرديات الأخلاقية وفهم التعقيد الجذري.
4. **الهيمنة الثقافية (غرامشي):** لتحليل الاستراتيجيات الثقافية المستخدمة في المعركة.
5. **القلق الوجودي والسلطة الكاريزمية (جيدنز وفيبر):** لفهم الحالة النفسية للأتباع ودور القائد.

بهذه الأدوات، نحن الآن جاهزون للبدء في الجزء الثاني من الكتاب، حيث سنستخدم هذه العدسات لتشريح "الموجات" نفسها، والغوص في جذورها وبنيتها.

02

02

الجزء الثاني:
تشـــــريــح الأمــواج
دراسة مقارنة للكتلتين

2

الجزء الثاني:

تشريح الأمواج - دراسة مقارنة للكتلتين

3 الفصل الثالث: جذور الموجتين

مقدمة الفصل

لكل موجة عاتية نقطة انطلاق. لفهم حركتي "**اليمين الديني المؤسسي**" و"التيار الشعبوي القاعدي". لا بد من العودة إلى جذورهما التاريخية العميقة. فهاتان الحركتان ليستا وليدتا اللحظة، بل هما نتاج رحلتين مختلفتين، وإن كانتا متقاطعتين. يهدف هذا الفصل إلى تتبع المسار التأسيسي لكل موجة، لنفهم التربة التي نبتت فيها، والصدمات التي شكلت هويتها، وكيف هيأت هذه الجذور المسرح للمعركة التي نراها اليوم.

1 المبحث الأول: جذور "اليمين الديني المؤسسي" - من الانعزال إلى حرب المواقع

إن رحلة اليمين الديني الأمريكي هي قصة تحول فكري عميق، انتقل فيها هذا التيار من هامش المجتمع إلى قلبه. هذا التحول يمكن فهمه بشكل أفضل عبر عدسة المفكر أنطونيو غرامشي، كعملية بناء طويلة الأمد للسيطرة على "مواقع" القوة الثقافية.

- **أولاً: مرحلة "الانعزال الكبير" (عشرينات - أربعينات القرن العشرين)** في أعقاب الهزيمة الثقافية المدوية في "محاكمة القرد" عام 1925، والتي صورت المسيحيين الأصوليين كجهلة ومتخلفين، انسحب تيار واسع منهم من الحياة العامة. لقد شعروا بأن الثقافة الأمريكية أصبحت "علمانية" ومعادية لهم. كانت استراتيجيتهم هي "بناء جدران" لحماية مجتمعاتهم. يمكن اعتبار هذه المرحلة فترة تراجع تكتيكي، حيث ركزوا على بناء مؤسساتهم الخاصة: كنائسهم، كليات الكتاب المقدس، ودور النشر. لقد كانت هذه المؤسسات هي البنية التحتية التي شكلت، دون وعي كامل آنذاك، قاعدة الانطلاق لـ "حرب مواقع" مستقبلية.

- **ثانياً: مرحلة "الارتباط المسؤول" (خمسينات - ستينات القرن العشرين)** ظهر جيل جديد بقيادة شخصيات مؤثرة مثل بيلي غراهام، الذي دعا للخروج من العزلة. كان الدافع الرئيسي هو خطر "الشيوعية الملحدة" خلال الحرب الباردة. أصبح الدفاع عن "أمريكا المسيحية" هو المحرك الذي أعاد للإنجيليين إحساسهم بالمركزية، لكن الهدف ظل دعويًا وثقافيًا، وليس سياسيًا بحتًا.

- **ثالثاً: مرحلة "الصدمة والهجوم المضاد" (سبعينات القرن العشرين)** هذه هي اللحظة المفصلية التي انطلقت فيها "حرب المواقع" بشكل شامل لاستعادة "الهيمنة الثقافية" المفقودة. سلسلة من الصدمات المتتالية اعتبرها **الإنجيليون هجومًا مباشرًا على قيمهم:**

  - **الصدمة القضائية:** قرارات المحكمة العليا بحظر الصلاة في المدارس (1962) وتشريع الإجهاض على مستوى البلاد (Roe v. Wade 1973).

  - **الصدمة الثقافية:** صعود الحركة النسوية، وحقوق المثليين، والثقافة المضادة. في خضم هذه الصدمات، قدم مفكرون لاهوتيون مثل فرانسيس شيفر التبرير الفكري للتحرك السياسي. هنا، تحولت الفكرة من "إنقاذ الأرواح" إلى "إنقاذ الحضارة"، وتم إعداد المسرح لولادة الحركة السياسية المنظمة التي نراها اليوم.

جدول (3-1): خريطة تطور اليمين الديني ("كهنة اليمين")

الفترة الزمنية	المرحلة/الاستراتيجية	المحفز الرئيسي	النتيجة/التحول
1920s-1940s	الانعزال الكبير	الهزيمة في "محاكمة القرد"	بناء مؤسسات داخلية (كليات، كنائس)
1950s-1960s	الارتباط المسؤول	خطر الشيوعية الملحدة	عودة حذرة للشأن العام بهدف دعوي
1970s-الآن	المواجهة الشاملة	صدمات قضائية (الإجهاض) وثقافية (النسوية)	التحول من "إنقاذ الأرواح" إلى "إنقاذ الحضارة"

2 المبحث الثاني: جذور "التيار الشعبوي القاعدي" - من حزام الصدأ إلى القلق الوجودي

إذا كانت جذور "**اليمين الديني المؤسسي**" تكمن في صدمات ثقافية، فإن جذور "**التيار الشعبوي القاعدي**" تكمن في تجربة مادية وشعور عميق بفقدان اليقين. يمكن فهم هذه الحالة عبر عدسة أنتوني جيدنز كمظهر من مظاهر "القلق الوجودي" (Ontological Insecurity) في عصر الحداثة المتأخرة.

- **أولاً: التدهور الاقتصادي للطبقة العاملة** على مدى عقود، شهدت الطبقة العاملة في ولايات "حزام الصدأ" الصناعية تدهورًا اقتصاديًا ممنهجًا. لقد أدت العولمة، ونقل المصانع إلى الخارج، وتراجع قوة النقابات إلى فقدان ملايين الوظائف ذات الأجور الجيدة وتآكل الإحساس بالأمان الاقتصادي والكرامة.

- **ثانياً: القلق الديموغرافي والثقافي** تزامن هذا الانهيار الاقتصادي مع تحولات ديموغرافية وثقافية سريعة. أدت زيادة الهجرة والتقدم في الحقوق المدنية والنسوية إلى خلق شعور لدى قطاعات واسعة من الأمريكيين البيض بأن "بلدهم يتغير" بشكل لا يمكنهم السيطرة عليه. هذا "القلق من فقدان المكانة" والخوف من "الاستبدال الثقافي" هو تجسيد دقيق للقلق الوجودي الذي يزعزع إحساس الفرد بالأمان والهوية في العالم.

- **ثالثاً: بيئة الاستقطاب السياسي الحاد** تشكل كل هذا الغضب في بيئة سياسية مشحونة للغاية. فصعود الإعلام الحزبي وانتهاء حقبة الحرب الباردة ساهما في زيادة حدة الاستقطاب. أصبحت السياسة لعبة "صفرية"، وأصبح الخصم السياسي يُرى كـ "عدو وجودي" يهدد كيان الأمة. هذه البيئة هيأت المسرح لظهور "سلطة كاريزمية" قادرة على استغلال هذا السخط وتوجيهه.

جدول (3-2): تحليل مكونات الغضب الشعبي ("التيار الشعبوي القاعدي)

المكون/العامل	الوصف	الفئة الأكثر تأثرًا	المظهر/النتيجة
اقتصادي	تدهور صناعي بسبب العولمة وفقدان الوظائف	الطبقة العاملة في "حزام الصدأ"	مرارة تجاه "النخب" والاتفاقيات التجارية
ديموغرافي	قلق من تغير تركيبة المجتمع بسبب الهجرة	الأمريكيون البيض الأكبر سنًا	خوف من "الاستبدال الثقافي" و"فقدان المكانة"

المكون/العامل	الوصف	الفئة الأكثر تأثرًا	المظهر/النتيجة
سياسي	استقطاب إعلامي حاد ونهاية الحرب الباردة	الجمهور الحزبي في كلا الطرفين	رؤية الخصم ك "عدو وجودي" وليس كمنافس

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى أن الموجتين العاتيتين اللتين تشكلان اليمين الأمريكي اليوم نبعتا من مصدرين مختلفين. موجة "**اليمين الديني المؤسسي**" ولدت من رحم صدمات ثقافية وقضائية هددت منظومتهم الأخلاقية والدينية. أما موجة "**التيار الشعبوي القاعدي**" فقد ولدت من رحم تدهور اقتصادي ممنهج وقلق اجتماعي عميق هدد منظومتهم المادية والمعيشية. في الفصول التالية، سنرى كيف بدأت هاتان الموجتان، على الرغم من اختلاف جذورهما، في التلاقي والاندماج لتشكيل القوة الهائلة التي نراها اليوم.

4 الفصل الرابع: طبوغرافيا مقارنة

مقدمة الفصل

على الرغم من أن موجتي "**اليمين الديني المؤسسي**" و"التيار الشعبوي القاعدي" تتلاقيان وتتداخلان في كثير من الأحيان، إلا أن مركز الثقل والتكوين الداخلي لكل منهما مختلف جوهريًا. لفهم كيفية عمل هذا التحالف المعقد، يجب أولاً أن نرسم خارطة طبوغرافية لكل كتلة على حدة، لنحدد مركز جاذبيتها، ومصادر قوتها، وطبيعة تكوينها، **قبل أن نحلل منطقة الاندماج الحاسمة بينهما.**

1 المبحث الأول: طبوغرافيا "اليمين الديني المؤسسي" - الإيمان المنظم كـ "حرب مواقع"

إن طبوغرافية اليمين الديني لا تُفهم بشكل أساسي من خلال الجغرافيا، بل من خلال بنيتها المؤسسية واللاهوتية. قوتها تكمن في شبكة كثيفة من المؤسسات والقيادات التي تعمل كنظام بيئي متكامل. هذه الشبكة هي التجسيد العملي لما أسماه أنطونيو غرامشي "المجتمع المدني" الذي يُستخدم لخوض "حرب مواقع" طويلة الأمد بهدف فرض "هيمنة ثقافية" جديدة. يمكن فهم هذه الآلة من خلال أربعة "تجمعات عنقودية" رئيسية، يمثل كل منها جبهة في هذه الحرب:

- **أولاً: التجمع العنقودي للمؤسسة التقليدية:** يتمحور هذا التجمع حول شخصيات مثل فرانكلين غراهام. مصدر قوته هو الشرعية التاريخية الموروثة والسيطرة على موارد مالية ضخمة عبر منظمات إنسانية كبرى مثل "Samaritan's Purse". هذه الجبهة المالية والإنسانية توفر الموارد والغطاء الأخلاقي للحركة بأكملها.
- **ثانياً: التجمع العنقودي الفكري واللاهوتي:** يتمحور حول شخصيات مثل آل موهلر[1]، رئيس "المعهد اللاهوتي المعمداني الجنوبي". قوته لا تأتي من الجماهير مباشرة، بل من السلطة الأكاديمية واللاهوتية. هذه هي الجبهة

(1) **آل موهلر (R. Albert Mohler Jr.):** هو عالم لاهوت إنجيلي أمريكي والرئيس التاسع للمعهد اللاهوتي المعمداني الجنوبي (SBTS)، المدرسة الرائدة في الطائفة المعمدانية الجنوبية. يُعد موهلر شخصية فكرية بارزة في الحركة المحافظة الأمريكية، وكان له دور رئيسي في "النهضة المحافظة" التي أعادت المعهد إلى جذوره العقائدية الصارمة. ويقدم تحليلاً يومياً للأحداث من منظور مسيحي محافظ عبر برنامجه الصوتي "The Briefing".

الفكرية التي تهدف إلى إنتاج الغطاء النظري للمواقف السياسية وتشكيل عقول جيل المستقبل من القادة.

- **ثالثاً: التجمع العنقودي السياسي والقانوني:** يتمحور حول استراتيجيين مثل رالف ريد [1] ومنظمات قانونية مثل "Alliance Defending Freedom" (ADF). قوته تكمن في تحويل الإيمان إلى "أصوات في صندوق الاقتراع" و"انتصارات قانونية". هذه هي الجبهة السياسية والقانونية المباشرة في حرب المواقع.

- **رابعاً: التجمع العنقودي الكاريزمي والشبكي:** يتمحور حول قادة حركة "الإصلاح الرسولي الجديد" (NAR) مثل لانس والناو [2]. قوتهم هي الأكثر سيولة وتعتمد على الكاريزما الشخصية وادعاء السلطة النبوية. هذه هي جبهة التعبئة الجماهيرية، وهي مثال صارخ على "السلطة الكاريزمية" كما وصفها ماكس فيبر، حيث الولاء للشخص وليس للمؤسسة.

2 المبحث الثاني: طبوغرافيا "التيار الشعبوي القاعدي" - جغرافيا التهميش في الحداثة المتأخرة

على عكس اليمين الديني، فإن طبوغرافية الكتلة الشعبوية تُعرّفها في المقام الأول الجغرافيا والتجربة الاقتصادية المشتركة. إنها حركة متجذرة في شعور عميق بأنهم تُركوا في الخلف، وهو شعور يمكن فهمه كتأثير مباشر للقوى المجردة و "المجتثة" (Disembedding Mechanisms) في عصر الحداثة المتأخرة الذي وصفه أنتوني جيدنز. وتؤكد البيانات الكمية الحديثة هذه الطبوغرافيا بدقة، محولةً الأوصاف النوعية إلى حقائق تجريبية ملموسة.

---

(1) **رالف ريد (Ralph Reed):** هو مستشار سياسي وناشط أمريكي بارز. يُعرف بأنه كان المدير التنفيذي الأول لـ "التحالف المسيحي" (Christian Coalition) خلال التسعينيات، وهي منظمة نجحت في حشد وتوظيف القوة السياسية للإنجيليين المحافظين. لاحقًا، أسس "ائتلاف الإيمان والحرية" (Faith and Freedom Coalition)، مواصلاً دوره كاستراتيجي مؤثر في تعبئة الناخبين المتدينين.

(2) **لانس والناو (Lance Wallnau):** هو متحدث ومؤلف أمريكي، وشخصية بارزة في حركة "الإصلاح الرسولي الجديد" (NAR). يُعد والناو المروج الرئيسي لعقيدة "تفويض الجبال السبعة" (Seven Mountains Mandate)، وهي استراتيجية لاهوتية تدعو المسيحيين إلى السعي للتأثير أو السيطرة على سبعة مجالات رئيسية في المجتمع (مثل الحكومة والإعلام والتعليم).

جدول (4-2): طبوغرافيا "التيار الشعبوي القاعدي" - صورة للتهميش

السمة الديموغرافية	الاتجاه العام/الوصف	الأهمية/الربط بالسردية
التعليم	أغلبية من غير حاملي الشهادات الجامعية	يعكس الانقسام الاقتصادي ويغذي الشعور بالازدراء من "النخب المتعلمة".
الطبقة/العرق	قاعدة صلبة من الطبقة العاملة البيضاء	الفئة الأكثر تضررًا بشكل مباشر من تدهور الصناعة والعولمة.
العمر	ميل واضح لأن تكون أكبر سنًا	جيل يتذكر "العصر الذهبي"، مما يجعل شعوره بالخسارة والانحدار أكثر حدة.
الجغرافيا	تركّز في "قلب أمريكا" الريفي والبلدات الصغيرة	يخلق واقعًا نفسيًا من العزلة والشعور بالتجاهل من المراكز الحضرية.

3 المبحث الثالث: منطقة الاندماج - الممثل الهجين (The Hybrid Actor)

إن الاكتفاء بالتقسيم الثنائي بين "المؤسسي" و"القاعدي" يظل تبسيطاً أكاديمياً يخفي النقطة الأكثر أهمية: القوة السياسية الحقيقية لا تكمن في أي من القطبين بمعزل عن الآخر، بل في **منطقة الاندماج** بينهما.

هنا يبرز "**الممثل الهجين**": وهو المواطن الذي ينتمي لكلا العالمين. هو "قاعدي" في تجربته المعيشية (عامل في "حزام الصدأ" يشعر بالخيانة الاقتصادية)، ولكنه "مؤسسي" في هويته الثقافية (إنجيلي أبيض يذهب إلى الكنيسة بانتظام ويؤمن بالقيم التقليدية).

هذا الممثل الهجين هو الذي يتجاهله التحليل الثنائي:

1. **بالنسبة لليمين المؤسسي (المبحث 1):** هو ليس مجرد "صوت" يتم حشده، بل هو القاعدة الصلبة التي تمنح المؤسسة شرعيتها الشعبية.
2. **بالنسبة للتيار القاعدي (المبحث 2):** هو ليس مجرد "غاضب" اقتصادياً، بل هو شخص تمده المنظومة الدينية بـ"المعنى" والغطاء الأخلاقي لغضبه.

إن التقاء المظلمة المادية (التي يحللها المبحث 2) مع اليقين اللاهوتي في شخص واحد، هو الذي يخلق القوة الانفجارية الحقيقية لليمين المعاصر. هذا الاندماج هو

الذي يجعل الحركة صلبة ومتماسكة، حيث يصبح الدفاع عن الاقتصاد دفاعاً عن الله، والدفاع عن الهوية دفاعاً عن الوظيفة.

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى أننا لسنا أمام كتلتين منفصلتين، بل أمام **طيف سياسي** له قطبان واضحان: قطب "مؤسسي" تُعرّفه شبكة لاهوتية منظمة، وقطب "قاعدي" تُعرّفه جغرافيا مشتركة وتجربة مشتركة من الخسارة.

إن الانفجار السياسي الهائل الذي شهده العقد الماضي لم يحدث لأن هاتين الكتلتين "تحالفتا" ببساطة، بل لأنهما "**اندمجتا**" في "المثل الهجين" الذي يقع في قلب هذا الطيف. لقد نجح القائد السياسي الكاريزمي في مخاطبة كلا وجهي هذا المثل في وقت واحد: خاطب مظلمته الاقتصادية (كقاعدي) ويقينه الروحي (كمؤسسي)، ووحد طاقتهما نحو هدف واحد.

5 الفصل الخامس: آلات الحرب - مقارنة النظم البيئية

مقدمة الفصل

لكل حركة بنية تحتية تنظيمية تحول الأفكار إلى أفعال. لكن طبيعة هذه البنية تختلف باختلاف طبيعة الحركة نفسها. إن "**منظومات التأثير**" التي سنحللها هنا ليست مجرد هياكل تنظيمية، بل هي المحركات التي تخوض بها كل كتلة "حرب المواقع" التي وصفها غرامشي، بهدف فرض رؤيتها للعالم كـ "حس سليم" جديد. في هذا الفصل، سنقوم بمقارنة هذه المنظومات لنرى كيف أن الاختلاف في طبوغرافيتهما أدى إلى اختلاف في آليات تأثيرهما.

1 المبحث الأول: منظومة "اليمين الديني المؤسسي" - قوة المؤسسة الهرمية

تعتمد قوة اليمين الديني بشكل أساسي على شبكة من المؤسسات الراسخة، والهرمية، وذات التمويل الضخم. **منظومة تأثيرهم** هي آلة مؤسسية تلعب "لعبة طويلة" وتعمل بشكل استراتيجي لتغيير المجتمع من خلال القنوات الرسمية. أبرز أذرعها:

- **الذراع القانونية:** تتمثل في منظمات مثل "Alliance Defending Free-dom" (ADF). هذه المنظمات لا تخوض معارك عشوائية، بل تتبنى استراتيجية طويلة الأمد لرفع قضايا محددة إلى المحكمة العليا بهدف إنشاء سوابق قضائية تعيد تشكيل القانون لعقود قادمة. نجاحها في إلغاء الحق الدستوري في الإجهاض هو الدليل الأكبر على فعالية هذه الذراع.
- **الذراع الإنسانية (القوة الناعمة):** تتمثل في منظمات ضخمة مثل "Samar-itan's Purse" التي يرأسها فرانكلين غراهام. من خلال الاستجابة السريعة والفعالة للكوارث العالمية، تبني هذه المنظمة سمعة هائلة بالكفاءة والرحمة. هذه السمعة توفر للحركة ككل "غطاءً من الشرعية الأخلاقية" ونفوذًا عالميًا.

2 المبحث الثاني: منظومة "التيار الشعبوي القاعدي" - قوة الشبكة اللامركزية

على عكس اليمين الديني، فإن قوة الكتلة الشعبوية لا تكمن في المؤسسات التقليدية، بل في شبكة ديناميكية ولامركزية تعمل كقوة ضاربة لتشكيل الرأي العام.

- **الذراع الإعلامية (الجهاز العصبي):** هذه هي الذراع الأقوى والأكثر حيوية، ووظيفتها خلق واقع بديل وتوجيه الغضب الشعبي. تتكون من المركز الثقل(قناة Fox News) والجناح الهجومي (مواقع مثل Breitbart News) والشبكة اللامركزية من البودكاست والمؤثرين التي تعمل ك "قوات حرب عصابات" إعلامية.
- **الذراع السياسية (العضلات):** هذه هي الآلية التي تحول الطاقة الإعلامية إلى سلطة سياسية فعلية. وتشمل ذراع التمويل المتمثلة في لجان العمل السياسي الكبرى (Super PACs) مثل "MAGA Inc."، وذراع التجنيد التي تركز على الجيل القادم مثل منظمة "Turning Point USA"، وذراع الضغط الداخلي المتمثلة في "تكتل الحرية" في الكونغرس.
- **الذراع الفكرية (مصنع التبريرات):** وظيفتها هي توفير تبرير فكري وأخلاقي للأجندة الشعبوية، وهي تمثل دور "المثقفين العضويين" الذين يسعون لخلق هيمنة ثقافية مضادة. وتضم مؤسسات راديكالية مثل "The Claremont Institute" الذي يروج لأفكار مثل "الحرب الأهلية الباردة"، ومؤسسات تقليدية تم الاستيلاء عليها مثل "The Heritage Foundation" التي تقدم خطط حكم جاهزة مثل "Project 2025".

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى منظومتين مختلفتين تعملان لتحقيق أهداف متقاربة. "**اليمين الديني المؤسسي**" يستخدم منظومة من المؤسسات المستقرة التي تمنحهم الصبر والنفس الطويل للعب الاستراتيجي. أما "**التيار الشعبوي القاعدي**" فيستخدم منظومة من الشبكات الديناميكية التي تمنحها السرعة والقدرة الهائلة على الحشد والهجوم. إن القوة الحقيقية لليمين الأمريكي اليوم تكمن في أن هاتين المنظومتين لا تعملان ضد بعضهما البعض، بل غالبًا ما تعملان بشكل متوازٍ، حيث توفر المؤسسات الدينية العمق والشرعية، بينما توفر الشبكات الشعبوية الزخم والغضب الشعبي.

03

03

الجزء الثالث:
ترسانة السرديات ونقطــة الالتقـاء

3

الجزء الثالث:

ترسانة السرديات ونقطة الالتقاء

6 الفصل السادس: سرديات "كهنة اليمين"

مقدمة الفصل

لا تعتمد حركة " اليمين الديني المؤسسي" على التنظيم والمؤسسات فحسب، بل على مجموعة من السرديات اللاهوتية القوية. هذه السرديات هي الذخيرة المستخدمة في "**حرب المواقع" الثقافية**، ووظيفتها تحويل القضايا السياسية المعقدة إلى معارك روحية بسيطة. هي الأداة التي تخلق "**هيمنة ثقافية**" مضادة، وتوفر يقينًا مطلقًا في مواجهة "**القلق الوجودي**" للحداثة، وتمنح الشرعية الإلهية للقادة، وتحدد الأعداء، وتعبئ القاعدة عاطفيًا. يهدف هذا الفصل إلى تفكيك اثنتين من أقوى هذه السرديات.

1 المبحث الأول: سردية "الصهيونية المسيحية" - السياسة كتحقيق للنبوءة

تعتبر هذه السردية، التي يعد القس جون هيغي مهندسها الرئيسي، واحدة من أكثر الأدوات تأثيرًا في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية.

- **أولاً: الأسس اللاهوتية:** تعتمد السردية على نظام "اللاهوت التدبيري" (Dis-pensationalism)، الذي يقرأ النبوءات بشكل حرفي. من هذا المنطلق، تؤمن بأن دولة إسرائيل الحديثة هي تحقيق مباشر لوعود الله، وتستخدم سفر التكوين 12: 3 ("وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ") كمبدأ سياسي أبدي: أي دولة تدعم إسرائيل سيباركها الله، وأي دولة تعاديها ستصيبها لعنة الله.
- **ثانياً: بناء ثنائية "نحن" ضد "هم":** تخلق السردية هوية جماعية واضحة. فـ "نحن" هم المسيحيون الذين "يفهمون" خطة الله ويقفون مع إسرائيل. أما "هم" فهم الأعداء الخارجيون والداخليون الذين يُصوَّرون على أنهم "جاهلون" لاهوتيًا أو "عصاة" لكلمة الله.

- **ثالثاً: اللغة العاطفية للتعبئة:** تستخدم السردية لغة الإلحاح النبوي ("نحن نعيش في الأيام الأخيرة!")، ولغة الواجب الديني ("دعم إسرائيل واجب كتابي")، ولغة الخوف والأمل لشحن القاعدة عاطفيًا.

2 المبحث الثاني: سردية "الحرب الروحية" - السياسة كمعركة كونية

هذه السردية، التي يروج لها التيار الكاريزمي بقيادة لانس والناو، هي المحرك العاطفي للجناح الأكثر حماسًا في الحركة.

- **أولاً: الأسس اللاهوتية:** تؤمن هذه السردية بأن الأحداث على الأرض هي انعكاس مباشر لصراع في العالم الروحي. وتعتمد على عقيدة "تفويض الجبال السبعة"، التي تقول إن على المسيحيين واجب "استعادة" السيطرة على المجالات السبعة للمجتمع (الحكومة، الإعلام، التعليم، إلخ) وهي تمثل خريطة الطريق لتحقيق الهيمنة الثقافية الكاملة.
- **ثانياً: بناء ثنائية "نحن" ضد "هم":** تخلق هذه السردية أقوى أشكال الاستقطاب، لأنها تنزع الإنسانية عن الخصم. فـ "نحن" هم "جيش الله"، أما "هم" (الخصوم السياسيون) فهم ليسوا مجرد معارضين، بل "دمى" أو "وكلاء" تحركهم الأرواح الشريرة. هذا يبرر الهجوم الشديد عليهم، لأنك لا تهاجم إنسانًا، بل "تحارب الشر".
- **ثالثاً: اللغة العاطفية للتعبئة:** تستخدم السردية معجمًا عسكريًا مكثفًا ("غرفة الحرب")، ولغة السلطة والنصر، ولغة النبوءة والكشف ("الرب أراني.....") هذه اللغة الأخيرة هي الأداة الرئيسية لترسيخ "السلطة الكاريزمية" (فيبر) للقائد، حيث تجعل قراراته غير قابلة للنقاش لأنها تأتي من مصدر إلهي مباشر.

خاتمة الفصل

نرى إذًا أن سرديات "**اليمين الديني المؤسسي**" تعمل كأدوات أيديولوجية متكاملة. هي لا تقدم مجرد آراء سياسية، بل تبني عالمًا كاملاً من المعنى، حيث تتحول السياسة إلى لاهوت، ويتحول الخصم إلى شيطان، ويصبح العمل السياسي واجبًا مقدسًا. هذه السرديات هي التي تمنح الحركة تماسكها الداخلي وقدرتها الفائقة على التعبئة في مواجهة ما تراه تهديدًا وجوديًا.

7 الفصل السابع: سرديات " التيار الشعبوي القاعدي "

مقدمة الفصل

إذا كانت سرديات "**اليمين الديني المؤسسي**" تستمد قوتها من سلطة النص الديني، فإن سرديات "**التيار الشعبوي القاعدي**" تستمد قوتها من سلطة "الواقع المعاش" والتجربة الملموسة للغضب والتهميش. هذه السرديات هي المحرك الأيديولوجي للجناح الشعبوي، وهي مصممة لتقديم تفسيرات بسيطة ومباشرة لمشاكل معقدة، وتوجيه اللوم دائمًا نحو عدو واضح. إنها العلاج المقترح لحالة "القلق الوجودي" (جيدنز) التي تعاني منها هذه الكتلة، والوقود المستخدم في "حرب المواقع" (غرامشي) لتأسيس "حس سليم" جديد.

1 المبحث الأول: سردية "السيادة المهددة" - معركة الهوية والحدود

تعتبر هذه السردية هي الأكثر قوة وشحنًا للعواطف. يتم تقديم القضية كثنائية حادة: إما "بناء الجدار" أو القبول بـ "غزو" المهاجرين. لكن يجب تحليل هذه السردية بعمق أكبر؛ فهي غالبًا ما تعمل كوكيل (proxy) لما يعتبره كثير من الباحثين المحرك الأقوى لدعم اليمين الشعبوي: "الاستياء العرقي" (Racial Resentment). فالأدبيات الأكاديمية الحديثة تظهر بقوة أن القلق من التغيير الديموغرافي وفقدان المكانة الثقافية والعددية للمجموعة البيضاء هو مؤشر تنبؤي لدعم هذه الحركة أقوى حتى من العوامل الاقتصادية. وبالتالي، فإن الهدف الاستراتيجي لهذه السردية يتجاوز مجرد تنظيم الهجرة؛ فالهدف الحقيقي هو استخدام قضية الحدود كرمز مباشر لمعركة وجودية ضد ما تعتبره الحركة "استبدالاً ثقافياً وعرقياً" يهدد الهوية التقليدية للأمة.

2 المبحث الثاني: سردية "خيانة العامل الأمريكي" - معركة الاقتصاد والعولمة

هذه هي الجبهة الاقتصادية للحركة، وهي السردية التي تخاطب مباشرة سكان "حزام الصدأ". تقدم هذه السردية قصة بسيطة ومقنعة مفادها أن "النخب" باعت العامل الأمريكي لصالح الشركات متعددة الجنسيات والدول المنافسة. وتتركز على المطالبة بفرض تعريفات جمركية وإلغاء الاتفاقيات التجارية، وهي تخاطب بشكل فعال الشعور بالتهميش الاقتصادي.

3 المبحث الثالث: سردية "الحس السليم" ضد "الأيديولوجيا الراديكالية" - الحرب الثقافية

هذه هي الجبهة الأوسع التي تشمل كل القضايا الثقافية التي تراها الحركة تجسيدًا لما تعتبره "**تطرفاً**" أو "**انفصالاً عن الواقع**" فيما يخص "ثقافة العدالة" (Woke Culture). الهدف هو تصوير الخصوم على أنهم منفصلون عن واقع وحس المواطن العادي. وتشمل هذه الجبهة حروبًا ضد "أيديولوجية الجندر"، و"نظرية العرق النقدية"، و"الأجندة الخضراء"، حيث يتم تصويرها جميعًا كهجوم من النخب على القيم التقليدية والاقتصاد.

4 المبحث الرابع: آليات الخطاب - أساليب شيطنة الخصم

للحفاظ على التعبئة، يستخدم التيار الشعبوي مجموعة من **الأساليب الخطابية** التي تهدف إلى نزع الشرعية عن الخصم. هذه الأساليب هي الأدوات التكتيكية في "حرب المواقع"، وكثيرًا ما يستخدمها القائد ذو "السلطة الكاريزمية" (فيبر) لتعزيز مكانته.

- **تأطير "العدو من الداخل":** الأسلوب الأساسي هو التعامل مع الخصوم كـ "أعداء للشعب"، ويُنعتون بـ "الخونة" و"الاشتراكيين" و "العولميين".
- **لغة المؤامرة:** يتم تفسير كل الأحداث تقريبًا من خلال عدسة المؤامرة. فـ"الدولة العميقة" تتآمر لإسقاط القائد، والانتخابات "تُسرق".
- **قوة السخرية والتحقير:** يُعد استخدام الألقاب الساخرة والمهينة تكتيكًا مدروسًا للتقليل من هيبة الخصم وتجريده من مكانته.

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى أن سرديات "**التيار الشعبوي القاعدي**" تعمل بشكل مختلف عن سرديات "**اليمين الديني المؤسسي**". هي لا تعتمد على سلطة إلهية، بل على سلطة الغضب الشعبي والتجربة المباشرة. تقوم بترجمة المخاوف المعقدة إلى قصص بسيطة، وتوفر أهدافًا واضحة للسخط، وتبني هوية جماعية على أساس "الحس السليم" في مواجهة "نخبة" **يعتبرونها** معادية ومنفصلة عن الواقع. هذه السرديات هي التي تشكل الوقود اليومي **لمنظومة التأثير** الشعبوية.

8 الفصل الثامن: السردية الجامعة - "القومية المسيحية"

مقدمة الفصل

إذا كانت السرديات السابقة تشرح دوافع كل موجة على حدة، فإن سردية "القومية المسيحية" هي الجسر الأيديولوجي الذي يربط بينهما. إنها السردية التي تلتقي فيها المظالم المادية لـ "التيار الشعبوي القاعدي" مع المخاوف الروحية لـ "اليمين الديني المؤسسي".

هنا، يتم إعطاء الغضب الشعبي "غطاءً مقدسًا"، ويتم إعطاء الطموحات الدينية "جيشًا" من الأتباع. هذه السردية هي المشروع النهائي لخلق "هيمنة ثقافية" (غرامشي) جديدة، وهي الدرع الأقوى في مواجهة "القلق الوجودي" (جيدنز)، والوقود الذي يشعل "السلطة الكاريزمية" (فيبر) للقائد.

1 المبحث الأول: تعريف السردية وأسسها

تعتبر سردية "القومية المسيحية"[1] هي العمود الفقري الذي يربط كل التيارات، حيث تدمج الهوية الدينية بالهوية الوطنية بشكل عضوي.

وهي تعتمد على ركنين أساسيين:

1. **"أسطورة التأسيس المسيحي" لأمريكا:** وهي قراءة انتقائية للتاريخ تروج لفكرة أن الولايات المتحدة تأسست كأمة مسيحية، وأن قيمها وقوانينها يجب أن تعكس هذا الأصل.

2. **عقيدة "الأمة المختارة":** وهي تطبق على الولايات المتحدة فكرة التفويض الإلهي، معتبرة إياها "إسرائيل الجديدة" ذات المهمة الخاصة في العالم.

هذان الركنان معًا يخلقان هوية كلية ومغلقة توفر يقينًا مطلقًا لأتباعها.

(1) تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "القومية المسيحية" (Christian Nationalism) هو مفهوم حيوي ومحط نقاش في الأوساط الأكاديمية. فبينما يرى بعض الباحثين أن مقاييس القياس الحالية قد تكون واسعة جدًا أو أن الظاهرة لا تقتصر على البيض، فإن هذا الكتاب يتبنى التعريف والإطار الذي طوره باحثون بارزون في هذا المجال مثل أندرو وايتهيد وصامويل بيري (Whitehead and Perry)، واللذين يُعرّفانها بأنها إطار ثقافي يدمج بشكل مثالي بين الهويات المسيحية والأمريكية. ونرى أن هذا التعريف هو الأكثر ملاءمة لتحليل الظاهرة قيد الدراسة، نظرًا لقدرته على تفسير كيفية دمج المظالم الدينية والثقافية في مشروع سياسي واحد."

جدول (8-1): أركان عقيدة "القومية المسيحية"

الركن العقائدي	الوصف	الوظيفة السياسية
أسطورة التأسيس المسيحـــــــي	الترويج لقراءة انتقائية للتاريخ تعتبر أمريكا أمة مسيحية منذ تأسيسها.	إعطاء شرعية تاريخية للمطالبة بأسلمة القوانين والمجال العام.
عقيدة "الأمة المختـــــارة"	تطبيق مفهوم "إسرائيل الجديدة" على الولايات المتحدة، وأن لها تفويضًا إلهيًا خاصًا.	تبرير السياسات الاستثنائية (داخليًا وخارجيًا) وتجاهل القوانين الدولية.
الدمج الرمزي	دمج الرموز الدينية (الصليب) بالرموز الوطنية (العلم) بشكل عضوي.	خلق ارتباط عاطفي قوي يجعل الولاء للوطن غير منفصل عن الولاء لله، والعكس.

2 المبحث الثاني: آلية العمل - "الإنتاج المشترك" للغضب والمعنى

إن العلاقة بين هاتين المجموعتين ليست مجرد تحالف متكافئ، ولا هي عملية هيمنة (Hegemony) غرامشية بسيطة من طرف واحد.

الحجة الأصلية التي قد يطرحها البعض هي أن "اليمين المؤسسي" (الكهنة) نجح في احتواء المظالم المادية لـ "التيار القاعدي" (القبائل) وإعادة صياغتها ضمن إطاره الروحي. لكن الواقع يبدو أكثر تعقيداً؛ إنه أقرب إلى "**صفقة انتهازية**" أو "**إنتاج مشترك**" (Co-production) للسردية.

1 "**التيار القاعدي**" **يوفر الطاقة:** "التيار القاعدي" يشعر بغضب مادي وملموس (خيانة اقتصادية، قلق هوياتي). هذا الغضب هو الطاقة الخام والمحرك الأساسي. لقد "احتل" هذا التيار القاعدة الشعبية للحزب والمؤسسات الدينية، فارضاً أجندته الخاصة.

2 "**اليمين المؤسسي**" **يوفر الغطاء:** قادة "اليمين المؤسسي"، في مواجهة هذه الموجة القاعدية الجارفة، وجدوا أنفسهم أمام خيار صعب: إما ركوب الموجة أو أن يصبحوا بلا أهمية. فقاموا بتوفير "الغطاء اللاهوتي" و"التبرير الفكري" لهذا الغضب.

وهنا تكمن عبقرية "القومية المسيحية"؛ فهي ليست مجرد هيمنة من الأعلى، بل هي **نقطة التقاء مثالية** لكلا الطرفين. هي تنجح في **إعادة تأطير المشكلة الاقتصادية كعرضٍ من أعراض الانحلال الروحي والخطيئة الوطنية.**

وبالتالي، يصبح الغضب الاقتصادي لـ "التيار القاعدي" هو الطاقة الخام، لكن "اليمين المؤسسي" ومثقفيه العضويين هم من يوفرون التوجيه الأيديولوجي والهدف النهائي. يُمنح الغضب المجزأ وعيًا موحدًا وهدفًا مقدسًا.

جدول (8-2): آلية دمج الموجتين عبر القومية المسيحية

عنصر الدمج	ما يعنيه لـ "اليمين الديني المؤسسي"	ما يعنيه لـ"التيار الشعبوي القاعدي"	النتيجة الموحدة: العدو المشترك
النخب	النخب "العلمانية" التي تحارب القيم الدينية.	النخب "العالية" التي باعت العامل الأمريكي.	عدو واحد: "النخبة العلمانية العالية" المعادية لله وللوطن.
الآخر	أتباع الديانات الأخرى الذين يهددون الهوية الدينية.	المهاجرون الذين يهددون الهوية الديموغرافية.	عدو واحد: "الغريب" الذي يهدد هوية الأمة وقيمها.
الهدف	استعادة "أمريكا المسيحية".	استعادة "أمريكا العظيمة".	هدف واحد: "استعادة أمريكا العظيمة كأمة مسيحية".

3 المبحث الثالث: اللغة العاطفية ونقطة الاندماج

تستخدم هذه السردية لغة عاطفية قوية للتعبئة، أهمها لغة "الإرث المفقود والاستعادة" ("استعادة أمريكا") ولغة "التفويض الإلهي" لتقديس الأهداف السياسية.

إن نقطة الاندماج تحدث هنا: فالصرخة الشعبوية "لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى" يتم شحنها بمعنى روحي، وتتحول من مجرد مشروع سياسي إلى "مهمة إلهية لاستعادة أمة الرب".

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى أن قوة اليمين الأمريكي المعاصر لا تكمن في أي من السرديات بمعزل عن الأخرى، بل في الاندماج القوي الذي تخلقه سردية "القومية المسيحية". هذه السردية الجامعة هي التي تسمح للمنظومات المؤسسية والشبكية، وللتيارين القاعدي والمؤسسي، بالعمل كقوة واحدة جبارة.

بعد أن فهمنا هذه المنظومة الفكرية، سننتقل في الجزء التالي لنرى كيف أثرت هذه القوة الموحدة على العالم.

04

الجزء الرابع:
العـالـم فـي مواجهـة الأمـــــــــــواج

4

الجزء الرابع:

العالم في مواجهة الأمواج

9 الفصل التاسع: العاصفة الكاملة والمُسرّع الرقمي

مقدمة الفصل

لم يكن صعود موجتي "**اليمين الديني المؤسسي**" و"التيار الشعبوي القاعدي" ممكنًا لولا تضافر مجموعة من العوامل التي شكلت "عاصفة كاملة". فبناءً على المظالم والجذور الداخلية التي فصلناها في الجزء الثاني، يهدف هذا الفصل إلى تحليل الظروف الخارجية والتكنولوجية التي عملت كبيئة مثالية ومُضخّم هائل لهذه الحركة. إن هذه العوامل مجتمعة هي تجسيد لـ"الطوفان" الذي تحدث عنه إطارنا التحليلي، وهو لم يكن حدثًا واحدًا، بل سلسلة من الطوفانات المتزامنة التي هيأت المسرح للعاصفة.

1 المبحث الأول: العاصفة الكاملة - عوامل التمكين الخارجية

بينما كانت المظالم الداخلية (التدهور الاقتصادي والقلق الثقافي) تختمر لعقود، جاءت مجموعة من الصدمات الخارجية لتصب الزيت على النار وتوفر مبررات إضافية للغضب:

- "**صدمة العولمة**": بالنسبة للكثيرين في الطبقة العاملة الغربية، لم تجلب العولمة الرخاء الموعود، بل جلبت منافسة غير عادلة وفقدانًا للوظائف. هذا خلق رد فعل عنيفًا ضد "النخب العالمية" والمؤسسات الدولية التي تم تحميلها مسؤولية هذه الخسائر.
- **تداعيات "الحرب على الإرهاب"**: بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، ساهمت "الحرب على الإرهاب" في تعميق الشعور بالتهديد الخارجي. كما أن الحروب الطويلة والمكلفة أدت إلى شعور بالإرهاق من التدخلات الخارجية، مما مهد الطريق لظهور خطاب "أمريكا أولاً" الانعزالي.

- **صعود الصين:** أصبح صعود الصين هو التجسيد المادي لكل مخاوف الحركة الشعبوية. فهي تمثل المنافس الاقتصادي، والقوة "الشيوعية الملحدة"، والخصم الجيوسياسي الذي يتحدى الهيمنة الأمريكية.

جدول (9-1): مكونات "العاصفة الكاملة"

المكون	النوع	الوصف المختصر	الأثر المباشر (كيف هيأ البيئة؟)
المظالم الداخلية	داخلي	تدهور اقتصادي وقلق ثقافي (كما فُصّل في الفصل 3).	خلق "جمهور جاهز" يشعر بالتهميش والغضب الشعبوي.
صدمة العولمة	خارجي	شعور بأن العولمة أفادت النخب على حساب العامل الغربي.	ولّدت رد فعل عنيف ضد "النخب العالمية" والمؤسسات الدولية.
إرث "الحرب على الإرهاب"	خارجي	إرهاق من التدخلات الخارجية وشعور بالتهديد المستمر.	مهد الطريق لخطاب "أمريكا أولاً" الانعزالي.
صعود الصين	خارجي	منافس اقتصادي وأيديولوجي وجيوسياسي.	جسّد كل مخاوف الحركة الشعبوية في خصم واحد ملموس.

2 المبحث الثاني: المُسرّع الرقمي - كيف هندست التكنولوجيا الحركة

لم تكن هذه الحركة لتصل إلى حجمها وقوة تأثيرها الحالية لولا الأدوات الرقمية التي عملت كـ "مُسرّع" لهذه الظاهرة. وهنا ينطبق مبدأ مارشال ماكلوهان الشهير[1] "الوسيط هو الرسالة"، فالقضية ليست فقط أن هذه المنصات نقلت رسائل شعبوية، بل أن طبيعتها الخوارزمية القائمة على العاطفة والقبلية هي التي شكلت وعززت هذا النوع من الخطاب.

- **وسائل التواصل الاجتماعي:** كانت هي الأداة التي حولت مشاعر السخط المتفرقة إلى حركة جماعية. لقد قامت بذلك عبر تجاوز "حراس البوابة" التقليديين في الإعلام، وبناء "غرف صدى" عززت معتقدات الجمهور، وإتاحة "التعبئة الفورية" التي حولت الجمهور إلى "جنود رقميين".

(1) **مبدأ مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan):** هو مبدأ لخصه ماكلوهان في عبارته الشهيرة **"الوسيط هو الرسالة"**. ويعني هذا أن طبيعة الوسيلة التكنولوجية التي تنقل المعلومة (مثل التلفزيون أو وسائل التواصل الاجتماعي) هي أهم من المعلومة نفسها، لأن الوسيلة هي التي تشكل إدراكنا وطبيعة خطابنا.

- **الذكاء الاصطناعي:** هو السلاح المستقبلي الذي بدأت الحركة في استخدامه. يسمح بالاستهداف الدقيق للناخبين برسائل مصممة خصيصًا لهم، وإنتاج كميات هائلة من الدعاية بتكلفة منخفضة، ويحمل خطر "التزييف العميق" الذي يهدد بتدمير الثقة في أي معلومات.

خاتمة الفصل

وهكذا، نرى أن "**التيار الشعبوي القاعدي**" لم يكن مجرد نتاج لمظالم داخلية، بل كان نتيجة "عاصفة كاملة" تفاعلت فيها هذه المظالم مع صدمات عالمية ومُسرّع تكنولوجي هائل. لقد وفرت الظروف الخارجية الأعداء الماديين (الصين، العولمة)، بينما وفرت التكنولوجيا الرقمية الأدوات اللازمة لحشد الجيوش وتوجيه غضبها بكفاءة لم يسبق لها مثيل.

10 الفصل العاشر: النمط العالمي - أمريكا كمرآة للعالم والعالم كمرآة لأمريكا

مقدمة الفصل

إن فهم عمق الظاهرة الأمريكية يكتمل بوضعها في سياق مقارن للبحث عن الأنماط الوظيفية المتشابهة. هذا الفصل سيقوم بإجراء سلسلة من المقارنات لنرى كيف أن "**التيار الشعبوي القاعدي**" الأمريكي هو تجلٍ محلي لظاهرة عالمية أوسع، وكيف أن هذا التكرار هو خير مثال على "الطبيعة الفركتالية لعدم التوازن"، حيث نرى نفس الديناميكيات تتكرر في سياقات ثقافية وسياسية مختلفة حول العالم.

1 المبحث الأول: نمط "رد الفعل على الحداثة" - مقارنة مع الإسلام السياسي

إن النموذج الأقرب للقارئ العربي، والذي يكشف عن نمط تاريخي متكرر، هو مقارنة صعود اليمين الديني الأمريكي بصعود حركات الإسلام السياسي الحديثة.

- **التشابه في النشأة:** كما أن صدمة سقوط الخلافة والاستعمار والتغريب كانت الشرارة التي أشعلت حركات الإسلام السياسي، فإن صدمة الهزيمة الثقافية في "محاكمة القرد" وصعود العلمانية كانت الشرارة التي أشعلت اليمين الديني الأمريكي. كلتا الحركتين نشأتا كرد فعل على شعور عميق بالهزيمة والإهانة الثقافية على يد "حداثة" معادية.
- **التشابه في الاستراتيجية:** كلتا الحركتين قامتا ببناء "مجتمع موازٍ" ومؤسسات اجتماعية لتربية "عصبية" قوية قبل خوض المعركة السياسية الشاملة.
- **التشابه في الهدف:** الهدف النهائي لكلتا الحركتين يتجاوز مجرد الفوز بالانتخابات، بل يهدف إلى الهيمنة الأيديولوجية عبر أسلمة الدولة من الداخل أو فرض القيم الدينية على القانون.

2 المبحث الثاني: مصفوفة القوميات اليمينية - تشريح "الوصفة" العالمية

إن نجاح الحركات القومية في الولايات المتحدة والهند وأوروبا لم يكن صدفة، بل اعتمد على "وصفة" متشابهة من العوامل الحاسمة. ولتحويل هذه الملاحظة من حجة سردية إلى تحليل قائم على أسس تجريبية، فإن المقارنة المنظمة عبر مصفوفة واضحة هي الأداة الأقوى. يستعرض الجدول التالي ثلاث تجليات رئيسية لهذا

النمط العالمي: الترامبية في الولايات المتحدة، والأوربانية في المجر، والهندوتفا في الهند. من خلال تحليل هذه الحركات عبر متغيرات رئيسية، نكشف عن كل من أوجه التشابه الاستراتيجية المذهلة، والاختلافات الأيديولوجية الحاسمة التي تفرضها "الأيديولوجيات المضيفة" في كل سياق. هذا التحليل يجعل حجة "النمط العالمي" ملموسة وقابلة للدفاع عنها.

جدول (10-1) : مصفوفة مقارنة للقوميات اليمينية العالمية

المتغير	الولايات المتحدة (الترامبية)	المجر (الأوربانية)	الهند (الهندوتفا)
ادعاء الهوية الأساسي	أمريكا كـ "أمة مسيحية" ذات مصير إلهي.	المجر كمدافعة عن أوروبا المسيحية والإثنية القومية.	الهند كأمة هندوسية (هندو راشترا)
"الآخر" الأساسي	النخب "العولمية" العلمانية، المهاجرون غير البيض، المسلمون.	جورج سوروس، "بيروقراطيو" بروكسل، المهاجرون المسلمون، أيديولوجيا LGBTQ+.	المسلمون، المسيحيون، النخب العلمانية في "دلهي لوتينز".
الموقف من المؤسسات	هجوم على "الدولة العميقة"، والقضاء، والإعلام باعتبارها غير شرعية.	استيلاء منهجي على القضاء والإعلام والأوساط الأكاديمية ("الدولة غير الليبرالية")	تقويض المؤسسات العلمانية، والضغط على القضاء والإعلام.
السياسة الاقتصادية الرئيسية	الحمائية ("أمريكا أولاً")، إلغاء التنظيمات.	"مجتمع العمل"، تأميم قطاعات رئيسية، الاعتماد على أموال الاتحاد الأوروبي.	سياسات نيوليبرالية مقترنة بمشاريع ثقافية قومية هندوسية.
دور الدين	تحالف مع الإنجيليين؛ القومية المسيحية كهوية تعبوية.	مسيحية تروج لها الدولة؛ الدفاع عن "القيم المسيحية" ضد "أيديولوجيا النوع الاجتماعي".	الهندوتفا كأيديولوجيا سياسية موجهة للدولة.

3 المبحث الثالث: عوامل الإعاقة والنموذج المضاد

لماذا لم تنجح هذه الوصفة بنفس القوة في كل مكان؟ وما هو النموذج البديل؟

- **أولاً: عوامل الإعاقة - لماذا تواجه حركات مماثلة صعوبة في أوروبا الغربية؟**

على عكس أمريكا والهند، لم تتمكن حركات القومية الدينية من تحقيق نفس الهيمنة في دول مثل فرنسا، وذلك لأسباب هيكلية مثل رسوخ العلمانية في الفضاء العام، وطبيعة الأنظمة السياسية البرلمانية التي تجبر الأحزاب على بناء ائتلافات، وغياب "قاعدة إنجيلية" موحدة وسهلة التعبئة.

- **ثانياً: النموذج المضاد - دروس من حركة مناهضة الفصل العنصري** تقدم تجربة حركة مناهضة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا نموذجًا مضادًا لحركة تغيير سياسي ناجحة، ولكن بأهداف ووسائل مختلفة تمامًا، حيث كانت رؤيتها شمولية لا إقصائية ("أمة قوس قزح")، وتحالفاتها واسعة مع القوى العلمانية والتقدمية، وهدفها التحول لا الهيمنة.

جدول (10-2): مقارنة نماذج التغيير السياسي

الخاصية	نموذج القومية الدينية/الشعبوية	نموذج حركة مناهضة الفصل العنصري
الرؤية النهائية	**إقصائية:** هيمنة مجموعة واحدة (دينية أو عرقية) على تعريف الأمة.	**شمولية:** بناء "أمة قوس قزح" تعددية تحترم حقوق جميع المواطنين.
طبيعة التحالفات	**ضيقة:** تعتمد على حشد كتلة هوياتية متجانسة ضد الآخرين.	**واسعة:** تحالف بين قوى دينية وعلمانية ونقابات ومنظمات طلابية ودولية.
الهدف من السلطة	**الهيمنة:** السيطرة على الدولة لفرض أيديولوجيا معينة.	**التحول:** تفكيك نظام الظلم ثم العودة لدور "ضمير الأمة" ومراقبة السلطة.

خاتمة الفصل

إن فهم هذه النماذج المختلفة للنجاح والفشل يسمح لنا برؤية أن صعود القومية الشعبوية ليس حتميًا، بل يعتمد على مجموعة معقدة من الظروف السياسية والثقافية والتاريخية. بعد أن وضعنا هذه الحركة في سياقها العالمي المقارن، سننتقل في الفصل القادم لتقييم أثرها الجيوسياسي على العالم.

11 الفصل الحادي عشر: الأثر الجيوسياسي وتداعياته

مقدمة الفصل

يهدف هذا الفصل إلى تقييم الأثر الجيوسياسي لهذه الحركات، ليس كظواهر محلية، بل كقوى فاعلة تعيد تشكيل علاقات القوة عالميًا. هنا نرى بوضوح "الطبيعة الفركتالية لعدم التوازن"، حيث أن الخلل الذي نشأ داخل الدولة لا يبقى حبيسًا، بل يتم تصديره ليزعزع استقرار النظام العالمي بأكمله. سنحلل كيف تهاجم هذه الحركات أسس النظام الحديث من ثلاث زوايا متزامنة.

1 المبحث الأول: تآكل الدولة القومية من الداخل

إن النظام العالمي الحديث قائم على فكرة الدولة القومية ذات السيادة التي تعمل وفقًا لمصالحها الوطنية. الحركات القومية الدينية تقوض هذا الأساس عبر استبدال مفهوم المواطنة، كجزء من مشروعها لخلق "هيمنة ثقافية" (غرامشي) جديدة.

- **أولاً: استبدال الولاء المدني بالولاء الأيديولوجي:** تطالب هذه الحركات بأن يكون الولاء الأول للفرد ليس للدولة-الأمة بمفهومها المدني، بل لـ "الأمة الدينية/العرقية". فالقومي المسيحي يرى أن "الأمريكي الحقيقي" هو المسيحي المحافظ. هذا يحول الأقليات والمواطنين العلمانيين إلى "غرباء" في وطنهم، مما يمزق النسيج الاجتماعي.
- **ثانياً: رفض شرعية المؤسسات التعددية:** ترفض هذه الحركات شرعية المؤسسات الديمقراطية إذا كانت قراراتها تتعارض مع ما تعتبره "القانون الإلهي" أو "الهوية الحقيقية للأمة". هذا يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار الدائم، حيث تكون شرعية الدولة موضع تشكيك مستمر.

2 المبحث الثاني: تحويل السياسة الخارجية إلى "حرب حضارية"

عندما تصل هذه الحركات إلى السلطة، فإنها تعيد تعريف السياسة الخارجية. هي لا تعود قائمة على المصالح الوطنية البراغماتية، بل تتحول إلى امتداد لـ "الحرب الروحية". هذا التفسير، الذي يتماشى مع أطروحة "صراع الحضارات" لصامويل هنتنغتون، يرى أن السياسة الخارجية تصبح ساحة معركة بين "الحضارة المسيحية"

وخصومها. ولكن، للارتقاء بالتحليل، يجب أن نقيم حوارًا بين هذا المنظور "الحضاري" والمدرسة "الواقعية" في العلاقات الدولية[1] (مثل جون ميرشايمر وستيفن والت) يجادل الواقعيون بأن السياسة الخارجية لليمين الشعبوي لا تتعلق في المقام الأول بصراع الحضارات، بل برفض "الهيمنة الليبرالية". فهم يرون شعار "أمريكا أولاً" كعودة فجة وقائمة على الصفقات إلى التركيز على المصلحة الوطنية الضيقة، والتخلص من تكاليف الحفاظ على النظام الليبرالي العالمي.

إن الحجة الأقوى هي توليفة من الاثنين. يمكن القول بأن الحركة تمثل هجينًا خطيرًا: فهي مدفوعة بدافع واقعي (التخلص من الالتزامات العالمية، التركيز على القوة النسبية) ولكن يتم تبريرها وتعبئتها من خلال خطاب حضاري (تأطير التراجع كحرب مقدسة ضد العولمة والثقافات الأخرى). وهذا يخلق سياسة خارجية متقلبة لا يمكن التنبؤ بها، فهي ليست أيديولوجية بحتة ولا براغماتية بحتة.

3 المبحث الثالث: تقويض النظام العالمي القائم على القواعد

إن النظام العالمي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، متمثلاً في الأمم المتحدة والقانون الدولي، قائم على فكرة وجود مبادئ عالمية مشتركة. الحركات الدينية الراديكالية ترفض هذه الفكرة من أساسها.

- **أولاً: رفض العالمية لصالح الاستثنائية:** تؤمن هذه الحركات بـ "الاستثنائية" المطلقة لأمتها. فالقومي المسيحي يرى أن أمريكا لديها "تفويض إلهي" خاص، مما يبرر لهم تجاهل القانون الدولي إذا تعارض مع "المهمة الإلهية" للأمة.
- **ثانياً: العودة إلى سياسة القوة:** عندما تنهار فكرة وجود قواعد عالمية مشتركة، فإن ما يحل محلها هو "قانون الغاب"، حيث القوة هي الحكم. إن تقويض المؤسسات الدولية يؤدي إلى عالم "كلٌ لنفسه"، حيث تصبح العلاقات الدولية أكثر خطورة وعدوانية.

(1) **المدرسة "الواقعية" (Realism) في العلاقات الدولية:** هي نظرية أساسية ترى أن الدول هي الفاعل الرئيسي في نظام دولي "فوضوي" (لا توجد سلطة عليا فوقها). الهدف الأول لكل دولة هو **ضمان بقائها**. ولتحقيق هذا البقاء، تسعى الدول بشكل عقلاني لتعظيم **قوتها**، وخاصة القوة العسكرية، وتعتبر المصالح الوطنية هي المحرك الأساسي للسياسة الخارجية.

جدول (11-1): مقارنة منطق السياسة الخارجية

المبدأ	المنطق الواقعي التقليدي	منطق القومية الشعبوية-الدينية
أساس السياسة	المصلحة الوطنية (National Interest)	المهمة الحضارية/الإلهية (Civilizational Mission)
النظرة للدول الأخرى	منافسون أو حلفاء (Competi-tors/Allies)	أصدقاء في الحضارة أو أعداء وجوديون (Friends/Enemies)
دور القانون الدولي	أداة لإدارة المصالح وتحقيق الاستقرار	عائق أمام تحقيق "المهمة الإلهية" يمكن تجاهله
هدف الدبلوماسية	تحقيق تسويات وإيجاد حلول وسط	إعلان "الحقائق" وهزيمة الأعداء

خاتمة الفصل

في ضوء "إطار التوازن الثقافي"، فإن صعود هذه الحركات المتزامن حول العالم لا يؤدي إلى استعادة التوازن، بل إلى "تصادم عالمي للموجات العاتية". كل حركة ترى نفسها مركز العالم وتعتبر الآخرين تهديدًا وجوديًا. كل موجة، في محاولتها اليائسة لإعادة التوازن لنفسها، تزعزع استقرار العالم بأسره، مما يخلق حالة من الفوضى العالمية ويجعل العالم مكانًا أقل أمنًا بكثير.

05

الجزء الخامس:
الخـاتمـة التحليـليـة
"زبـــــدة الكـتـــاب"

5

الجزء الخامس:

الخاتمة التحليلية - "زبدة الكتاب"

12 الفصل الثاني عشر: المعضلة الديمقراطية

مقدمة الفصل

بعد أن قمنا بتشريح أسباب نجاح "**التيار الشعبوي القاعدي**" وتداعياته العالمية، نصل الآن إلى الجزء الأكثر عمقًا وحساسية. يتناول هذا الفصل المعضلات الفلسفية التي يطرحها صعود هذه الحركات. هذه المعضلات تنشأ من كون هذه "الموجة العاتية" لا تسعى لإصلاح النظام القائم، بل لتأسيس "توازن" جديد كليًا، مما يضعها في صدام حتمي مع أسس الديمقراطية الليبرالية. لم يعد السؤال هنا تحليليًا فحسب، بل أصبح معياريًا: كيف يجب أن نتعامل مع ظاهرة تستخدم الأدوات الديمقراطية لتحدي القيم الديمقراطية نفسها؟

1 المبحث الأول: معضلة الشرعية الديمقراطية

السؤال الأكثر تعقيدًا هو: "أليس من حق هذه الجماهير أن تحكم؟". هذا السؤال يكشف عن التوتر الكامن بين "الديمقراطية الإجرائية" و"الديمقراطية الجوهرية".

- **من منظور الديمقراطية الإجرائية:** الإجابة هي نعم. إذا وصلت أي مجموعة إلى السلطة عبر انتخابات حرة ونزيهة، فإن لديها الحق القانوني في الحكم.
- **من منظور الديمقراطية الجوهرية:** الأمر أكثر تعقيدًا. فالديمقراطية ليست مجرد حكم الأغلبية، بل هي نظام يقوم على قيم مثل حماية حقوق الأقليات واحترام سيادة القانون.

المعضلة الحقيقية تنشأ هنا: ماذا لو استخدمت مجموعة ما "الديمقراطية الإجرائية" للوصول إلى السلطة، ثم شرعت في هدم "الديمقراطية الجوهرية"؟ إن "الحق في الحكم" في نظام ديمقراطي ليس حقًا مطلقًا، بل هو حق مشروط بالالتزام بقواعد اللعبة الديمقراطية نفسها.

2 المبحث الثاني: معضلة السيادة والتدخل

هذا السؤال ينقلنا من الفلسفة إلى واقع القوة: "ومن لديه القدرة أن يسمح أو يمنع؟".

- **المانع الداخلي - المؤسسات الدستورية:** الجهة الوحيدة التي لديها القدرة الشرعية على "المنع" هي المؤسسات الدستورية للدولة نفسها (المحاكم، البرلمان، الدستور، والرأي العام). إذا فشلت هذه المؤسسات أو تم الاستيلاء عليها، فلا توجد سلطة داخلية أخرى يمكنها المنع.
- **المانع الخارجي - توازن القوى:** في العلاقات الدولية، المبدأ هو سيادة الدولة. لكن الواقع مختلف: "المانع" الحقيقي ليس القانون، بل هو توازن القوى. إذا قامت دولة ما بتهديد مصالح دول أخرى بشكل مباشر، فإن تلك الدول سترد بأدوات القوة المتاحة لها.

3 المبحث الثالث: معضلة رد الفعل العالمي

يكشف سؤال "كيف يتفاعل العالم؟" عن الطبيعة الواقعية للعلاقات الدولية. رد الفعل الأساسي هو التوجس والقلق، ليس لأسباب أخلاقية، بل لأن النظام العالمي يكره "عدم اليقين". **وأسباب هذا القلق محددة:**

- **لأنها حركات "مراجِعة" (Revisionist):** هي لا تقبل بالوضع الراهن وتسعى لتغييره بشكل جذري، وهذا هو الهدف الطبيعي لأي مشروع يسعى لفرض هيمنة (غرامشي) جديدة.
- **لأنها غير قابلة للتنبؤ:** فالسياسة الخارجية الهجينة التي تمزج بين الدافع الواقعي والخطاب الحضاري هي سياسة غير عقلانية من منظور الدول الأخرى، مما يجعل التنبؤ بخطواتها صعبًا.
- **لأنها تثير عدم الاستقرار الإقليمي:** فصعودها في دولة كبرى يشعل حركات مماثلة في دول الجوار.

خاتمة الفصل

هذه المعضلات الثلاث - الشرعية، والسيادة، ورد الفعل العالمي - ليست مجرد تمارين فكرية. إنها تشكل الواقع السياسي اليومي الذي تعيشه الديمقراطيات حول العالم في مواجهة هذه الموجة الشعبوية. إن فهم هذه التوترات هو الخطوة الأولى نحو التفكير في أي استجابة ممكنة، وهو ما يمهد الطريق لفصلنا الختامي.

13 الفصل الثالث عشر: الخاتمة - مأساة الفكرة ومستقبل التوازن المنشطر

مقدمة الفصل

في ختام رحلتنا التحليلية، وبعد تشريح "التيار الشعبوي القاعدي" من كافة جوانبه، نصل الآن إلى المظلة الفكرية التي تفسر هذه الظاهرة في عمقها.

يهدف هذا الفصل الختامي إلى تطبيق أدواتنا التحليلية لتقديم فهم كلي لـ "لماذا" و "كيف" أصبحت هذه الحركات قوة فاعلة، وما هي القوانين العميقة التي تحكم مسارها ومستقبلها.

1 المبحث الأول: الخلاصة السببية - عودة إلى مأساة الفكرة والاختيار

بعد كل هذا التحليل، من المسؤول حقًا؟ إن الإجابة الأعمق تتجاوز السرديات البسيطة عن "الطبقات العاملة البريئة" في مواجهة "النخب الرأسمالية الشريرة".

الحقيقة تكمن في "مأساة الفكرة" مدمجة بـ "مأساة الاختيار". الأزمة هي النتيجة المنطقية لفكرة الرأسمالية التي تُركت لتتبع مسارها، والقرارات البشرية المحددة التي اتخذها "الفاعلون" ضمن هذا المنطق.

لقد كانت الطبقة العاملة شريكًا "قصير النظر" في "صفقة الرأسمالية الوطنية"، وفشلت في إدراك أن الأداة التي حمتها يمكن أن تنقلب عليها.

وفي المقابل، كانت النخب الرأسمالية "مُنفّذين عقلانيين" لمنطق النظام. لكنهم لم يكونوا مجرد أدوات آلية؛ لقد كانوا "فاعلين بشريين" اتخذوا "اختيارات" محددة (كنقل المصانع، أو الضغط لتغيير القوانين) بناءً على حوافز شخصية لتعظيم الربح، بغض النظر عن الولاء الوطني أو العواقب الاجتماعية.

المشكلة الجذرية إذن لم تكن فقط في منطق الفكرة نفسها حينما تُترك بلا حدود، بل في **الاختيارات البشرية** التي عززت هذا المنطق على حساب التوازن الاجتماعي.

جدول (13-1): خلاصة "مأساة الفكرة والاختيار" - توزيع المسؤولية

الفاعل	الـ"خطيئة" / الخطأ	المنطق المأساوي (لماذا ليسوا أشرارًا بالكامل؟)	النتيجة النهائية
الطبقة العاملة	قصر النظر	كانت شريكًا نشطًا ومستفيدًا من "صفقة الرأسمالية الوطنية" وفشلت في رؤية أن الأداة التي دعمتها يمكن أن تنقلب عليها.	فقدت أمانها الاقتصادي وشعرت بالخيانة، مما ولّد الغضب الشعبي.
نخب رأس المال	الاختيار العقلاني الأناني	كانوا أفضل منفذين للمنطق الداخلي للنظام، واتخذوا "اختيارات" بشرية كافأت تعظيم الربح بغض النظر عن الولاء الوطني.	أطلقوا العولمة التي حطمت الصفقة الاجتماعية القديمة.

2 المبحث الثاني: مستقبل التوازن - من الاصطدام إلى الانشطار

إذا كان "منطق الفكرة" و"الاختيار البشري" هما ما فجر الأزمة، فما هو شكل التوازن المستقبلي الذي سينشأ من رحمها؟

قبل تقديم الأطروحة المركزية لهذا الكتاب، من المهم وضعها في سياق السيناريوهات البديلة التي يناقشها المحللون:

- **الدورة ذاتية التعزيز:** يرى هذا السيناريو أن الاستقطاب سيستمر في التصاعد، مدفوعًا بدائرة مفرغة من العداء الحزبي وغرف صدى الإعلام.
- **تأرجح البندول:** يفترض هذا السيناريو أن رد فعل عنيفًا ضد التطرف سيؤدي في النهاية إلى طلب شعبي للاعتدال والعودة إلى المركز.
- **صمود المؤسسات الليبرالية:** يجادل هذا السيناريو بأن "حواجز الحماية" للديمقراطية (القضاء، البيروقراطية) ستصمد في النهاية وتحتوي التحدي الشعبوي.

لكن هذا الكتاب يطرح سيناريو رابعًا نعتقد أنه الأكثر ترجيحًا، لأنه يفسر الطبيعة البنيوية العميقة للانقسام. **وهذا السيناريو يتجاوز مجرد "الفرز الكبير" (The Big Sort)**، الذي وصف كيف انتقل الناس للعيش في مجتمعات تتشابه معهم فكريًا.

إن "الفرز الكبير" هو ظاهرة **سوسيولوجية /جغرافية**. أما "انشطار التوازن" الذي نطرحه هنا فهو ظاهرة **دستورية/سيادية**.

هنا، يقدم لنا التاريخ عدسة قوية للاستشراف، وتحديدًا في النموذج التاريخي للاصطدام التركي-العباسي الذي وقع في القرن الحادي عشر.

عندما "اصطدمت" قوة السلاجقة العسكرية الخام بقوة الخلافة العباسية الرمزية والثقافية في بغداد، لم تكن النتيجة إزالة كاملة للقديم، بل انشطار السلطة.

احتفظ الخليفة العباسي بسلطته الروحية والرمزية، لكنه فقد سلطته الزمنية (السياسية والعسكرية) بالكامل لصالح السلطان السلجوقي.

نحن لا نتجه بالضرورة إلى حرب أهلية، بل إلى "توازن" جديد يشبه ما حدث في بغداد: تبقى المؤسسات الفيدرالية (الرئاسة، الكونغرس) قائمة كـ "سلطة رمزية"، لكنها تفقد قدرتها على فرض رؤية موحدة.

في المقابل، تتعزز "السلطة الفعلية" في الأطراف، حيث تتحصن "المعاقل الزرقاء" و"المعاقل الحمراء" في أنظمتها القانونية والثقافية المتباينة (في الإجهاض، البيئة، الهجرة).

إننا لا نتجه إلى "توازن جديد" موحد، بل إلى ما يمكن تسميته "بانشطار التوازن": حالة من الصراع البارد المستمر الذي تديره أطراف شبه مستقلة تحت مظلة شكلية لدولة واحدة.

3 المبحث الثالث: خاتمة نهائية في ضوء إطارنا التحليلي

في الختام، يمكن القول إن "التيار الشعبوي القاعدي" هو قوة تاريخية حتمية، ولدت من رحم شعور حقيقي وعميق بفقدان التوازن، وهي "الموجة العاتية" المضادة التي تنبأ بها إطار "التوازن الثقافي".

لقد نجحت هذه الأمواج في بناء "عصبية" متينة، على حد تعبير ابن خلدون، وأوصلتها هذه العصبية إلى "الملك" أو السلطة.

لكنها اليوم، بعد وصولها إلى ذروة النفوذ، تواجه المصير الكلاسيكي الذي وصفه ابن خلدون: خطر أن يؤدي "ترف" السلطة والصراع على الخلافة إلى تفكيك التضامن الذي كان أساس قوتها.

إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن ليس "هل سيعود التوازن القديم؟"

- **فالإجابة هي قطعًا لا - بل السؤال هو:** ما هو شكل "التوازن الجديد" الذي يمكن أن ينشأ من رحم هذا الصراع العالمي؟

إن الإجابة على هذا السؤال لم تُكتب بعد. نأمل أن يكون هذا العمل قد ساهم في توفير خريطة، ولو أولية، لهذا المحيط الهائج.

خاتمة نهائية: خيوط العاصفة المجمعة

في بداية هذا العمل، انطلقنا لفهم "عين العاصفة" السياسية التي تعيشها الولايات المتحدة، لا كحدث إخباري عابر، بل كظاهرة حضارية عميقة. الآن، في ختام رحلتنا التحليلية، نجمع الخيوط لنقدم الصورة الكاملة كما كشفها لنا التحليل.

لقد حكم تحليلنا "**إطار توازني تركيبي**"، يرى أن "الطوفان" (التغير التكنولوجي والاقتصادي والثقافي الهائل والسريع) قد كسر التوازن الاجتماعي القائم، مولّداً حالة من "عدم التوازن" الوجودي العميق. وكرد فعل حتمي، وُلدت "موجة عاتية" مضادة تسعى لتأسيس توازن جديد.

وقد وجدنا أن هذه الموجة تتكون من تيارين رئيسيين، لكل منهما جذوره الخاصة:

1. "**اليمين الديني المؤسسي**" ، وهو تيار منظم وله جذور في الصدمات الثقافية والقضائية، ويخوض "حرب مواقع" غرامشية طويلة الأمد.

2. "**التيار الشعبوي القاعدي**" ، وهو تيار متجذر في الجغرافيا والتجربة المعيشية للتهميش الاقتصادي في "حزام الصدأ" والقلق الوجودي من فقدان المكانة.

أما عن السبب الجذري لهذا الخلل، فقد تجاوزنا السرديات البسيطة. الأزمة ليست مجرد نتاج "مأساة الفكرة" (المنطق الحتمي للرأسمالية المطلقة) ، بل هي أيضًا نتاج "**مأساة الاختيار**"؛ أي القرارات البشرية المحددة التي اتخذها "الفاعلون" من النخب لتعظيم مصالحهم على حساب العقد الاجتماعي.

وكان الاندماج بين هذين التيارين هو الحدث الأبرز. لم تكن العلاقة "هيمنة" بسيطة من الأعلى، بل كانت "**إنتاجاً مشتركاً**". التيار القاعدي" وفر الطاقة الخام والغضب، بينما سارع "اليمين المؤسسي" لتوفير الغطاء اللاهوتي والمعنى في "صفقة انتهازية" للبقاء في دائرة التأثير. وكانت "القومية المسيحية" هي السردية الجامعة المثالية التي نتجت عن هذا الاندماج.

وأخيرًا، فإن المستقبل الذي يرسمه هذا التحليل ليس عودة للتوازن القديم ولا حربًا أهلية شاملة. إنه حالة جديدة من "**انشطار التوازن**". وهذا المفهوم يتجاوز مجرد "الفرز الجغرافي"؛ إنه "**انشطار في السيادة**"، يشبه النموذج التاريخي لانفصال "السلطة الفعلية" (التي تتجه نحو المعاقل الحمراء والزرقاء شبه المستقلة) عن "السلطة الرمزية" (التي قد تبقى في الحكومة الفيدرالية). .

إن الموجة التي حللناها هي قوة تاريخية حتمية ولدت من رحم شعور حقيقي بفقدان التوازن. والسؤال الآن ليس إن كان التوازن القديم سيعود، بل ما هو شكل التوازن الجديد الذي سينشأ من رحم هذا الصراع العالمي

مراجع للقراءة والاستزادة

Anthony, G. (1990). The consequences of modernity.

Barkun, M. (2013). A culture of conspiracy: Apocalyptic visions in contemporary America (Vol. 15). Univ of California Press.

Bishop, B., & Cushing, R. G. (2009). The big sort: Why the clustering of like-minded America is tearing us apart. Houghton Mifflin Harcourt.

Block, F. (2003). Karl Polanyi and the writing of the Great Transformation. Theory and society, 32(3), 275-306.

Cramer, K. J. (2022). The politics of resentment: Rural consciousness in Wisconsin and the rise of Scott Walker. University of Chicago Press.

Dalio, R. (2021). Principles for dealing with the changing world order: Why nations succeed or fail. Simon and Schuster.

Gramsci, A. (2020). Selections from the prison notebooks. In The applied theatre reader (pp. 141142-). Routledge.

Holton, R., & Turner, B. (2010). Max Weber on Economy and Society (Routledge Revivals). Routledge.

Khaldun, I. (2014). The Muqaddimah: An introduction to history. The Anthropology of Climate Change: An Historical Reader, 55-66.

Levitsky, S., & Ziblatt, D. (2019). How democracies die. Crown.

Nelson, A. (2019). Shadow network: Media, money, and the secret hub of the radical right. Bloomsbury Publishing USA.

Polletta, F. (2017). Strangers in Their Own Land: Anger and Mourning on the American Right.

Stewart, K. (2020). The power worshippers: Inside the dangerous rise of religious nationalism. Bloomsbury Publishing USA.

Teitelbaum, B. R. (2020). War for eternity: Inside Bannon's far-right circle of global power brokers. HarperCollins.

Turchin, P. (2016). A Structural-Demographic Analysis of American History. Beresta Books Chaplin.

Wetzel, B. J. (2017). The Evangelicals: The Struggle to Shape America. Fides et Historia, 49(2), 124-127.

Whitehead, A. L., & Perry, S. L. (2020). Taking America back for god: Christian nationalism in the United States. Oxford University Press.

عن المؤلف

د. عبد الله النعمة

د. عبد الله النعمة مفكر متخصص في دراسة التقاطعات العميقة بين السياسة والمجتمع والثقافة. يركز في تحليلاته على تشريح "الأنماط" الخفية التي تحرك التحولات الكبرى، مع اهتمام خاص بفهم "موجات التغيير العاتية" التي تعيد تشكيل المجتمعات المعاصرة.

في هذا الكتاب، "اليمين الأمريكي في عصر القلق الوجودي"، يطبق المؤلف **"إطار التوازن الثقافي"**، وهو **إطار تحليلي تركيبي** يدمج النظريات الكلاسيكية (مثل الحركة المزدوجة لبولاني ومنطق السلطة لفيبر) لفهم العاصفة السياسية الحالية. ويتبنى في ذلك منهجًا تكامليًا، مستخدمًا "ترسانة تحليلية" تجمع بين رؤى الصراع الثقافي لغرامشي، ومفهوم القلق الوجودي لجيدنز، ونظريات السلطة لفيبر.

يهدف هذا العمل لمنح القارئ "صندوق أدوات فكري" و"خريطة تحليلية" للإبحار في عالم اليوم المضطرب.

وهو نتاج عملية تأليف، تمت فيها الاستعانة بقدرات الذكاء الاصطناعي المتقدمة لتنظيم وهيكلة الأطر النظرية الكبرى ورسم الخرائط المفاهيمية، بينما تولى المؤلف التحليل النقدي، وتطوير الحجج الأصلية، وضخ البُعد الفلسفي في العمل.

في عين العاصفة... هل نحن أمام صراع سياسي عابر أم انكسار حضاري عميق؟

بعيداً عن ضجيج الأخبار اليومية، يقدم هذا الكتاب تشريحاً غير مسبوق للقوى الجبارة التي تعيد تشكيل اليمين الأمريكي والعالم. إنها ليست مجرد سياسة، بل هي قصة "قلق وجودي" وحرب ثقافية شرسة يخوضها تياران جباران:

- "**اليمين الديني المؤسسي**": تيار مؤسسي وديني منظم يخوض "حرب مواقع" غرامشية طويلة الأمد.
- "**التيار الشعبوي القاعدي**": طاقة جماهيرية هائلة وُلدت من رحم التهميش الاقتصادي والشعور بفقدان الهوية.

معتمداً على "**إطار التوازن الثقافي**" كبوصلة تحليلية، يفكك هذا الكتاب جذور التيارين، **ومنظومات تأثيرهما، ومنظومة السرديات** التي توحدهما، وصولاً إلى "القومية المسيحية" كنقطة التقاء.

هذا ليس مجرد كتاب عن أمريكا؛ إنه "صندوق أدوات" فكري لفهم نمط عالمي يتصاعد، وخريطة ضرورية لفهم القوى التي ترسم ملامح مستقبلنا.